الباب الثالث

الحياة الاجتماعية فى عصر المرابطين والموحدين

العوامل المؤثرة فى الحياة الاجتماعية

كان لقيام دولتى المرابطين والموحدين آثار على الحياة الاجتماعية فى بلاد المغرب والأندلس عامة وإقليم غرناطة ـ موضوع الدراسة ـ بصفة خاصة، فقد قيض للمرابطين ثم الموحدين من بعدهم أن يلعبوا دورًا هامًا فى الحياة السياسية فى بلاد الأندلس، فبعد أن قاموا بتوحيد المغرب الأقصى فى ظل زعامة موحدة، انطلقوا إلى الأندلس، وتحملوا أعباء الكفاح المسلح ضد أطماع النصارى، وكان هذا بداية صفحة جديدة فى العلاقات السياسية بين بلاد المغرب والأندلس، فقد أصبحت البلاد الأندلسية تابعة للمرابطين ثم الموحدين، الأمر الذى نتجت عنه آثار بعيدة المدى فى شكل الحياة السياسية[1]، أثرت بالتالى على الحياة الاجتماعية للبلاد الأندلسية عامة وإقليم غرناطة خاصة، فقد كان للكفاح المسلح الذى بدأه المرابطون ثم الموحدون أثر على الحياة الاجتماعية فى الأندلس، فقد ساعد الكفاح على صهر قبائل المغرب التى تدفقت، صوب الأندلس للجهاد، فارتفع قدر المرابطين، بحيث أصبحوا قوة لا يستهان بها ومن ناحية أخرى فإنها أضفت على قائد المرابطين الذى حمل شرف الجهاد فى المغرب والأندلس لقب البطولة، أصبح يوسف بن تاشفين يحكم مملكة مترامية الأطراف يصفها ابن أبى زرع بقوله: «وكان يوسف بن تاشفين ملكه من مدينة أفراغة أول بلاد الإفرنج قاصية شرق بلاد الأندلس إلى آخر عمل شنترين والأشبونة على البحر المحيط من بلاد الأندلس وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما

---

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب (روض القرطاس) ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٢٦٧، وعن استيلاء المرابطين على غرناطة انظر عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (التبيان): ص ١٠٧ ـ ص ١٢٢، النويرى: مخطوط: جـ ٢٢ ورقة ١٨٣، مجهول: الحلل الموشية: ص ٧١ ـ ص ٧٣، مجهول: نبذة تاريخية جامعة فى أخبار البربر فى القرون الوسطى، ألف سنة ١٧٢ هـ، نشرها بروفنسال، الرباط، سنة ١٩٤٣، وعن الأندلس فى عصر الموحدين انظر النويرى: المصدر السابق: جـ ٢٤ ص ٣٠١ ـ ص ٣٠٩، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ١٠٥ ـ ١٠٦، ابن ابى زرع: المصدر السابق: ص ١٩١، ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ١٩٠.

طولاً وفى العرض ما يقرب من ذلك، وملك بالمغرب من بلاد العدوة من جزائر بن مزغنة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان»[١].

هذا وقد أدى اتساع الدولة المرابطية ثم الموحدية هذا وبسط نفوذهما على بلاد الأندلس إلى ظهور عوامل جديدة تركت فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس آثارا واضحة مثل الذى تركته على النشاط الاقتصادى والحياة الاقتصادية للبلاد الأندلسية[٢]، وذلك أن تدفق الأموال وتنوع موارد الدولة[٣]، جعل الأمراء ينفقون فى سعة، وأخذ الولاة يعيشون فى أقاليمهم حياة مترفة لم يتعودوها من قبل فى بلادهم، فيذكر الدكتور حسن محمود أن هؤلاء الأمراء قد اندمجوا فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس[٤]، هذه الحياة التى كانت قد بلغت شأنًا عظيمًا من الرقى منذ عهد ملوك الطوائف، فتألق نجم الحضارة الأندلسية بصورة لم تكن معهودة من قبل، فلما فتحت الأندلس، التقت حضارتان أو لونان من الحياة الاجتماعية، لون أندلسى رفيع، ولون مغربى صحراوى أقل رقيًا وتفوقًا، وكان منطق الأشياء يقضى بأن تتغلب الحياة الأكثر رقيًا فتصرع الحياة الأكثر ضعفًا، وهذا هو ما حدث

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٣٦ ـ ١٣٧، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ٣، انظر: المراكشى: المعجب ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦، عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ١٠٧ وما بعدها، النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٢٦٧ وما بعدها، انظر الباب الأول ص ـ ص Scott, History of Moorish Empire Vol 2 p. 197.

(٢) انظر الباب الثانى: ص ـ ص.

(٣) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٢٦، ص ١٢٨، ص ١٦٧، مجهول: رسائل موحدية: ص ٢١ ـ ص ٢٢ «عندما دخل يوسف بن تاشفين غرناطة، أبطل الضرائب والقبالات والخراج وألزم أهل غرناطة بزكاة العين وصدقة الماشية وعشر الزرع» عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢١٠ عن دخل دولة المرابطين من الجزية، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٥٣، تحقيق إحسان عباس، عن غنائم المرابطين فى غرناطة انظر: عبد الله بن بلقين: المصدر السابق: ص ٢٠٩ ـ ص ٢١٠، أما عن غنائم الموحدين من المرابطين انظر: مجهول: الحلل الموشية: ص ١٤٣.

(2) Dozy: Histoire des Musul. d'Espagne, Vol. IV, P. 255 - 265.

انظر عن غنائم الموحدين عند استيلائهم عليها من ابن همشك ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨٠ وما بعدها.

(٤) انظر مثالا لذلك: قصة أبى سعيد عثمان بن عبد المؤمن والى غرناطة مع ابن جبير صاحب الرحلة، المقرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٣٨٥.

بالضبط، فقد صارعت الحياة الأندلسية الرفيعة هذه الحياة الاجتماعية المغربية فتغلبت عليها وأثرت فيها[١]، فكان للوجود المرابطى ثم الموحدى فى البلاد الأندلسية عامة وغرناطة خاصة آثار على الحياة الاجتماعية، فظهرت فى تلك الفترة عدة فئات وعناصر كان للمرابطين ثم الموحدين الفضل فى إيجادها أو التأثير عليها ومنهم المرابطون ثم الموحدون أنفسهم وهى فئة البربر فزاولوا بعض الأعمال مثل التجارة أو الزراعة أو الصناعة[٢]، وقد كانت فئة البربر موجودة فى الأندلس قبل هذه الفترة، ولكن مع الفتح المرابطى ثم الموحدى للبلاد الأندلسية تدفَّق البربر على الأندلس بأعداد كبيرة[٣].

ويبدو أن بعض رجال هذه الفئة كانوا متغطرسين (وهو ما سنوضحه فيما بعد) لا يخضعون لأحكام القضاء[٤]، كما أن طائفة الحشم والأتباع كانت تموه على الناس باللثام وربما وقع منها بعض الأذى، مما دعا ابن عبدون فى رسالته إلى أن يطالب «أن لا يلثم إلاّ صنهاجى أو لمتونى أو لمطى[٥]».

ولما فتح الموحدون الأندلس ساروا على سنة أسلافهم، فأسكنوا الموحدين مدن الأندلس وثغوره، فبدأ عبد المؤمن هذه السياسة[٦] واستمر خلفاؤه عليها.

وقد أدى قيام دولتى المرابطين والموحدين فى الأندلس إلى ظهور طبقة جديدة كان للمرابطين ثم الموحدين الفضل فى ظهورها، ونعنى بها طبقة الفقهاء والقضاة، ويذكر

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٢٤٠ ـ ص ٢٤١.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ١٩٠ ـ ص ٢٠٠، ص ٢٢٦، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، عن تدفق الموحدين صوب الأندلس، المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٨١، ص ٢٨٢، ص ٢٨٣ ـ ص ٢٩٣ ـ ص ٢٩٦، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ١٠٥، النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٣٠٩.

(٤) محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، المجلد السابع، العدد ١ -٢، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩، ص ١٧٧ ـ ص ١٧٨، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٣.

(٥) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ٩.

(٦) البيذق: أخبار المهدى: ص ١٢٥ ـ ص ١٢٧، المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣.

حسن محمود أن الفقهاء والقضاة ورجال الدين موجودون فى كل عصر وفى كل زمان[١]، ولكن مع ظهور المرابطين ثم الموحدين احتل الفقهاء والعلماء منزلة عالية فى المجتمع الأندلسى، فالدولة المرابطية قامت على أساس دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية، من هنا كان المبدأ الدينى هو القاعدة الراسخة للدولة، ومن هذا فإن المشتغلين بعلوم الدين لا بد وأن يحتلوا مكانة رفيعة فى المجتمع وقد زاد هذه المكانة الرفيعة ذلك التقدير والتكريم الذى كانوا يلقونه من أمراء المسلمين «وكان ـ أى يوسف بن تاشفين ـ محبا للفقهاء والعلماء والصلحاء مقربًا لهم صادرًا عن رأيهم متكرمًا لهم، أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طول حياته»[٢].

وعندما انتشرت الدعوة الموحدية وكثر أفرادها قسم المهدى ابن تومرت أصحابه وأتباعه إلى طبقات متميزة، وصار فى مقدمة الطبقات: العشرة، ويعنى بهم أهل الجماعة، ثم أهل الخمسين ثم أهل السبعين ثم الطلبة ثم الحفاظ وهم صغار الطلبة[٣] وتندرج بعد هؤلاء بقية الطبقات حتى إذا تولى الخليفة عبد المؤمن بن على الخلافة ميز هؤلاء الطلبة وحظوا عنده بالاهتمام والرعاية فصاروا طبقة متميزة.

هذا وقد قسم عبد المؤمن بن على هؤلاء الطلبة إلى طائفتين، طلبة الموحدين، وطلبة الحضر، والطائفة الأولى، هم طلبة المصامدة، بعد أن سمى المهدى المصامدة بالموحدين، لخوضهم فى علم الأصول الذى لم يكن أحد من أهل هذه الأنحاء يخوض فيه[٤].

وصارت طبقة الطلبة تتمتع أيضا بامتيازات مالية إذ كانت تصرف لهم المرتبات والأعطيات من خزانة الدولة[٥].

---

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٣ ـ ص ٤١٤.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٣٧، المراكشى: المعجب: ص ٢٣٥.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٢٨ «ويذكر ابن خلدون ولما كللت بيعته «أى ابن تومرت» لقبوه بالمهدى وكان لقبه قبلها الإمام وكان يسمى أصحابه الطلبة وأهل دعوته الموحدين، انظر ابن خلدون: المقدمة: ص ٢٢٨، عن تقسيم ابن تومرت لطبقات الموحدين، انظر النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٢٨٧، المراكشى: المعجب ص ٢٥٥.

(٤) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٦٩.

(٥) البيذق: أخبار المهدى: ص ٤٨.

وهناك طبقة أخرى من طبقات المجتمع تأثرت بقيام دولتى المرابطين والموحدين وهم أهل الذمة من النصارى واليهود، ويذكر الدكتور حسن محمود أن النصارى المعاهدين كان قد ارتفع شأنهم فى بلاد الأندلس فى عهد ملوك الطوائف ونبه ذكرهم، وأصبحوا يتمتعون بحرية قلما ظفر بها أجدادهم من قبل.

وذلك بسبب الضعف والتخاذل والانقسام الذى أصاب المجتمع الأندلسى فى ذلك العهد[١]، وقد زاد من ذلك ظهور قوة قشتالة وليون فكان هؤلاء النصارى بمثابة عيون لقشتالة وغيرهم من الأعداء[٢].

ولقد حظى اليهود من أهل الذمة بالاهتمام والرعاية من جانب ملوك بنى زيرى فى غرناطة[٣]، التى ضمت عدداً كبيراً من اليهود الذين عاشوا فيها حتى أنها سميت بغرناطة اليهود[٤]، لكثرة عدد اليهود بها، كذلك كان عدد النصارى كبيراً فى أرياف الأندلس وخاصة غرناطة[٥].

---

(١) عن ضعف ملوك الطوائف وانقسامهم فى ذلك الوقت انظر عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ١٠٧ «طوائف الأندلس، هم زعماء الطوائف الذين اقتسموا ولايات الأندلس وقواعدها عقب انهيار الخلافة وثورة البربر، وأسسوا لأنفسهم فى ولايات الأندلس وقواعدها إمارات وممالك صغيرة وقد استعان بعضهم على بعض بنصارى الشمال الذين وجدوا فى ذلك سبيلًا مسلطًا على الإسلام وفرصة مواتية للقضاء عليهم، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٤٠ هامش رقم ٣، عبد الله بن بلقين: المصدر السابق: نفس الصفحة، عبد العزيز سالم: المغرب الكبير: ص ٧١٨، مجهول: الحلل الموشية: ص ٤٤ وما بعدها، انظر حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤١٩.

(٢) عن موقف نصارى غرناطة من المرابطين واستدعائهم لابن رزمير انظر ابن عذارى: البيان: جـ ١ ص ١٠٩ ـ ص ١١٤.

(٣) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢ وما بعدها، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٣ ص ٢٦٤، محمود على مكى: التشيع فى الأندلس صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ ص ١٢٩ ـ لطفى عبد البديع: الإسلام فى أسبانيا: ص ٣٤، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر ملوك الطوائف ص ١٦٨.

(٤) الحميرى: ص ٢٣، لطفى عبد البديع: المرجع السابق ص ٣٣.

(٥) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢، ص ١٠٨، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٣٦، الحميرى: المصدر السابق: ص ١٤٣ ـ ص ١٤٤.

ولكن سيطرة المرابطين على الأندلس غيرت أوضاع أهل الذمة سواء من اليهود أو النصارى وهو ما سنوضحه فيما بعد عند الحديث عن أهل الذمة.

هذا ولقد كانت الوحدة بين الأندلس والمغرب من أهم العوامل المؤثرة فى الحياة الاجتماعية ففى الوقت الذى سيطرت بلاد المغرب فى عصر المرابطين والموحدين على البلاد الأندلسية عسكريًا، تمكنت الأندلس من غزو بلاد المغرب فنيًا وعلميًا، ويعتبر عصر الموحدين هو العصر الذى توثقت فيه العلاقات الفنية والثقافية والاجتماعية بين بلاد المغرب والأندلس وانتقلت التأثيرات الأندلسية إلى المغرب[١].

ولقد ازداد الأثر الأندلسى فى فنون المغرب فى عصر المرابطين ثم الموحدين من بعدهم ومن تبعهم من بنى مرين وبنى زيان وبنى حفص، وفى ذلك يقول ابن غالب عند ثنائه على الأندلس وأهلها: «وأهل الأندلس عرب فى الأنساب والعزة والأنفة وعلو الهمم وفصاحة الألسن وطيب النفوس وإباء القيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما فى أيديهم والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنية، هنديون فى إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم، بغداديون فى ظرفهم ونظافتهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم، يونانيون فى استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لأجناب الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وأصناف الزهر فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة» ثم أضاف ابن غالب: ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها فى هذه الفتنة الأخيرة المبيرة تفرقوا ببلاد المغرب الأقصى من بر العدوة مع بلاد إفريقية، فأما أهل البادية فمالوا فى البوادى إلى ما اعتادوه، وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأرحى الطاحنة بالماء وغير ذلك، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها، فشرفت بلادهم وصلحت أمورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات، وأما أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر واستوطنوها، فأما أهل الأدب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجباة الأموال والمستعملون فى أمور المملكة، وأما أهل الصنائع فإنهم

(١) عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامى) ص ٨٣٢.

فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم وأهملوا أعمالهم وصيروهم أتباعًا لهم ومتصرفين بين أيديهم، ومتى دخلوا فى شغل عملوه فى أقرب مدة وأفرغوا فيه أنواع الحذق والتجريد وما يميلون به النفوس إليهم، ويكفى فى الإنصاف أن أقول إن حضرة مراكش هى بغداد المغرب، وهى أعظم ما فى بر العدوة، وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها إنما ظهرت فى مدة بنى عبد المؤمن، وكانوا يجلبون لها صناع الأندلس من جزيرتهم»[١].

وإذا تتبعنا الأثر الأندلسى فى بلاد المغرب وجدنا أنه بدأ منذ عصر المرابطين ووضح أكثر فى عصر الموحدين، فقد أحاط المرابطون والموحدون من بعدهم أنفسهم بعدد من أدباء الأندلس وعلمائه وكتابه[٢] وقد عبر المراكشى عن كثرة الكتاب الأندلسيين فى بلاط أمير المسلمين على بن يوسف فقال «واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه فى عصر من الأعصار»[٣] ومن هؤلاء الكتاب يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى يكنى أبا بكر ويعرف بابن الصيرفى[٤] من أهل غرناطة كان من أعلام العصر المرابطى فى البلاغة والأدب والتاريخ وكان من الكتاب المجيدين والشعراء المطبوعين كتب بغرناطة عن الأمير تاشفين بن على، أيام كان واليًا على الأندلس وألّف كتابا فى تاريخ الأندلس أسماه «الأنوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطية» وكتابا آخر سماه «قصص الأبناء وسياسة الرؤساء» وهما مؤلفان لم يصلا إلينا ولم يصل إلينا سوى شذور نقلها المتأخرون أمثال ابن الخطيب وغيره[٥].

وكان من هؤلاء الوزراء والكتاب أيضًا، على بن عبد العزيز ابن الإمام الأنصارى، وهو سرقسطى الأصل، سكن غرناطة، وكان من الكتاب المجيدين وأهل البلاغة والفصاحة.

---

(١) المقرى: نفح الطيب: جـ ص ١٠٥ ـ ص ١٥١ ـ ص ١٥٢ ـ ص ١٥٣.

(٢) J. F. P. Hopkins: Medieval Muslim, P. 12.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٢٢٧.

(٤) ترجم له ابن سعيد فى المغرب جـ ٢ ص ١١٨ وابن الخطيب فى الإحاطة مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤١٥.

(٥) انظر ترجمة ابن الصيرفى فى ابن الخطيب: الإحاطة مخطوط الاسكوريال، لوحة ٤١٥ والإحاطة محقق جـ ١ ص ١٠٨ هامش رقم ١.

وزر للأمير أبى طاهر تميم بن يوسف أيام ولايته لغرناطة، ثم كتب من بعده لأخيه الأمير على بن يوسف[١].

هذا وقد أثرت الحياة الأندلسية الرفيعة على حياة البربر الجافية، فقد انغمس البربر من المرابطين ثم الموحدين وعلى رأسهم الأحرار والسادة فى حياة الترف واللهو، يقول المراكشى عن المرابطين فى أواخر أيامهم: «واختلت حال أمير المؤمنين رحمه الله بعد الخمسمائة اختلالاً شديداً فظهرت فى بلاده مناكر كثيرة وانتهوا فى ذلك إلى التصريح، فصار كل منهم يصرح بأنه خير من أمير المسلمين وأحق بالأمر منه»[٢].

ويقول أيضًا «واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر ومأخور، وأمير المسلمين فى ذلك كله يتزيد تغافله، ويقوى ضعفه»[٣].

كانت هذه بعض العوامل التى أثرت فى الحياة الاجتماعية ليس فقط فى إقليم غرناطة ولكن فى كل شبه الجزيرة الأندلسية التى خضعت للمرابطين ثم الموحدين وسوف تتضح هذه العوامل أكثر من خلال تعرضنا للحياة الاجتماعية فى غرناطة.

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: نفس المخطوط، لوحة رقم ٣٣١.

(٢) المراكشى: المعجب: ص ٢٤١.

(٣) المراكشى: المصدر السابق: نفس الصفحة.

عناصر المجتمع الغرناطى

شهد إقليم غـرناطة فى عصر المرابطين والمـوحدين عدة عناصر مخـتلفة شكلت هذا المجتمع فأثرت فيه وتأثرت به ومن هذه العناصر: البربر ـ الأندلسيون ـ أهل الذمة.

البربر(١)

وجود البربر فى الأندلس طرأ مع الفتح الإسلامى، فـمع هذا الفتح تدفقت جموعهم نحو الأندلس واندمجت الموجات الأولى مع العناصر العربية الأندلسية(٢).

وفى العصر الأموى فى الأندلس، شارك البربر فى تحقيق النصر لعبد الرحمن الداخل على اليمانية، بـعرب الأندلس، حين خاطبوا عبد الغـفار اليحصبى بوجوب الانضـمام لعبد الرحمن الداخل(٣).

وعندما سيـطر الأمويون على الأندلس لم يغيروا من وضع البـربر الاجتماعى واكـتفوا بالسماح لهم بالدخول إلى الأندلس والحياة فـيها إلى جانب العناصر الأخرى، ولكن البربر رأوا أن ذلك لا يكفيهم.

فبدءوا يشاركون فى الثورة خلال القرن الثالث الهجرى، كما فعل الفتح موسى بن ذى

---

(١) يذكر ابن حزم الأندلسى أن البربر «من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام وادعت طائفة منهم إلى اليمن إلى حـميـر وبعضهم إلـى بر بن قيس عـيـلان» انظر بن حزم الأندلسى: جـمهـرة أنساب العرب، ص ٤٦١ تحقيق ليفى بروفنسال، طبعة دار المعارف بمصر.

(٢) حسين مؤنس: فجر الأندلس: ص ٣٩٦ «استقـر كثير من جند الجيش الغارى ببلاد الأندلس ولم يعد أحد منهم إلى إفريـقية بل تزوجوا من نساء أهل البلاد» انظر لطفى عـبد البديع: الإسلام فى أسبانيا، ص ٣٢.

Levi Provencal, L'Esp. M. aux. Sp, P. 20.

(٣) ابن القوطيـة: (محمد بن عـمرو بن عبـد العزيز) تاريخ افتتـاح الأندلس: تحقيق عـبد الله أنيس الطباع، بيروت، سنة ١٩٧٥، ط ريبرا سنة ١٩٦٨ ص ٥٠.

النون سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م)[١] حين ثار بقلعة رباح[٢]، وتحصن فيها مناديًا بنفسه أميرًا عليها.

ويذكر حسين مؤنس أن حياة البربر قد تميزت بالاستقرار والمشاركة فى الجهاد الذى غلب على عهد عبد الرحمن الناصر وقد فضّلت أقلية منهم السكن فى المدن، وحين تغلب عبد الرحمن الناصر على أجزاء المغرب، فتح باب الاتصال بين الأندلس والمغرب فهاجر كثيرون من البربر إلى الأندلس واستقروا فى جنوبها[٣] وفى الوسط والشرق[٤].

ولم تلبث قبيلة زناتة البترية أن أقبلت على الدعوة الأموية وأيدت الخليفة عبد الرحمن الناصر، فدخلت قبيلة مغراوة من بنى يفرن (افرن) الزناتيين فى طاعة الخليفة عبد الرحمن الناصر[٥].

وفى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى، بلغ البربر ذروة نفوذهم وأوج سلطانهم عندما رضى عنهم الحكم المستنصر وأمر باستداعائهم فأحسن قبولهم وأجزل عطاءهم وغض الطرف عن مذاهبهم[٦].

(١) ابن حيان: المقتبس، القسم الثالث ص ١٨، مجهول: مدونة من عصر الناصر، ص ٣٣، الحميرى: الروض المعطار، ص ١٤، Levi Provencal, Cronica, Anonima

(٢) «قلعة رباح قلعة من أعمال جيان وهى بين قرطبة وطليطلة وهى مدينة حسنة ولها حصون حصينة» الحميرى: المصدر السابق ص ١٦٣.

(٣) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٣٨١ «استقرت جماعات كثيرة من البربر فى أخصب نواحى الأندلس الجنوبية والشرقية والغربية بل كادت ناحية الجزيرة الخضراء أن تكون قاصرة عليهم، انظر: حسين مؤنس: ثورات البربر فى أفريقية والأندلس ص ١٩٤ حولية كلية الآداب عدد مايو سنة ١٩٤٨.

(٤) حسين مؤنس: المرجع السابق ـ نفس الصفحة.

(٥) انظر ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٤٣، وعن سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر تجاه البربر انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص ٢١١، ص ٢١٢، البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٢٧، ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ٣٣، جـ ٦ ص ١٣٤ ـ ص ١٣٦، ابن أبى زرع: روض القرطاس ص ٥٤، ص ٥٥، ص ٥٦، السلاوى: الاستقصا جـ ١ ص ٨٢، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥، ص ١٨٤.

(٦) ابن حيان: المقتبس جـ ٢ ص ١٩٢، ص ١٩٣ «يذكر ابن حيان أنه اجتمع للخليفة الحكم المستنصر من فرسان البربر ما يقارب السبعمائة فارس حيث وفدت عليه قبائل زناتة ومغراوة من المغرب تعلن طاعتها وانضوائها تحت لوائه» انظر ابن حيان: المقتبس جـ ٢ ص ١٧٤، ص ١٧٥، ص ١٩٣، انظر أيضًا ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٤٦.

وقد حفل عهد المنصور بن أبى عامر[١] وابنه عبد الملك[٢] بوصول أعداد كثيرة من بربر العدوة ومنهم كون ابن أبى عامر بطانة تغلب بها على أقوى المنافسين له من وزراء الدولة الأموية وكون منهم جيشًا تحت إمرته[٣]، ولقد ساعد ذلك على قدوم أعداد هائلة من البربر فزاد عددهم زيادة كبيرة، ويشير ابن حزم إلى زيادة عدد بيوتات البربر فى عهده[٤].

ويذكر عبد الله عنان أنه بعد انحلال الدولة الأموية وسقوطها إثر الفتنة البربرية التى عمت قرطبة، تكاثرت الهجرة البربرية إلى الأندلس، حيث كان لصنهاجة دور بارز فيها[٥]، ففى غرناطة استقر بنو زيرى الصنهاجيون فأقام حبوس بن ماكس إمارة فيها وكون لها جيشًا وعقد بينه وبين الأمراء من جيرانه روابط المودة[٦]، وحاول التوسع فاستولى على قبرة وجيان، ثم خلفه ابنه باديس فكانت بينه وبين زهير العامرى، صاحب المرية حرب قتل فيها زهير[٧] فى آخر شوال ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م، ثم تطلع إلى ما فى يد بنى حمود وكانوا قد ضعفوا فى مالقة فانتزعها منهم، ونازع ابن عباد من أجل الفوز بتلك المدينة، فكان له النصر عليه[٨]، وقد طال حكم باديس وعهد بشئون الدولة إلى وزيره اليهودى ابن النغريلة،

(١) ابن الخطيب ـ المصدر السابق ص ٦٣.

(٢) ابن الخطيب: نفس المصدر ص ٨٧.

(٣) ابن عذارى: البيان السابق جـ ٢ ص ٢٧٨، ص ٢٧٩، ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٤٧، بلغ عدد البربر فى إحدى فرق الجيش ثلاثة آلاف فارس.

(٤) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٨ ـ ص ٥٠٢.

(٥) انظر عنهم عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر ملوك الطوائف ص ٤٤ وما بعدها، ص ١١٨ وما بعدها، إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى ص ١٣.

(٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام قسم ٣ ص ٦٨، اللمحة البدرية فى أخبار الدولة النصرية، ص ٣١ راجع أخبار حبوس بن مانحسن فى التبيان ص ٢٥، ص ٢٦، ابن عذارى: البيان جـ ٣ ص ٢٦٤.

(٧) ابن بسام: الذخيرة: القسم الأول المجلد الثانى ص ١٦٦ ـ ص ١٦٩ ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٣ ص ١٦٩ ـ ص ١٧٢، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ٢٧٤ ـ ص ٢٧٥.

(٨) عن الصراع بين باديس وبنى عباد انظر ابن عذارى: البيان جـ ٣ ص ١٩٩ ـ ٢٧٤، ٢٧٥، ابن خلدون جـ ٦ ص ١٨٠، المراكشى: المعجب ص ١٢١ ابن بسام: الذخيرة قسم ٤ مجلد ١، ابن عذارى: جـ ٣ ص ٢٧٤، ص ٢٧٥ عبد الله بن بلقين: التبيان، ص ٣٤، ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م ـ ص ٣٣٧.

وزاد نفوذ النساء فى القصر[١]، ولما توفى باديس خلفه حفيده عبد الله بن بلقين، وتجددت المنافسة بينه وبين ابن عباد إلى أن سقطت طليطلة فى يد ألفونسو السادس ملك قشتالة[٢] واتفق الأمراء فى الأندلس على الاستعانة بالمرابطين، وكان المرابطون هم الذين قضوا على عبد الله بن بلقين[٣]

ومنذ ذلك الحين تدفق البربر على غرناطة، ويعلل حسين مؤنس ذلك بأنها أقرب إلى بر العدوة[٤] من ناحية ولأن معظم أهلها من بربر أفريقية من ناحية أخرى، هذا وقد بلغ دور صنهاجة ذروته مع الفتح الرابطى[٥] فأنزلوا قبائلهم فى الثغور[٦] والمدن ومما يدل على كثرة البربر فى غرناطة ما ذكر ابن الخطيب من أن بها من «البربر والمهاجرة الكثير»[٧] «والبربر منهم يرجع إلى قبائله البرينية والزناتية والمغراوية»[٨].

ولما فتح الموحدون الأندلس ساروا على سنة أسلافهم فأسكنوا الموحدين مدن الأندلس وثغوره، بدأ عبد المؤمن بن على هذه السياسة[٩] وسار خلفاؤه عليها.

---

(١) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٦٦، التبيان ص ٤٢.

(٢) عن سقوط طليطلة انظر ابن بسام: الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ١٦٣ وما بعدها، المقرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ٦٢، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ٦٩ ـ ص ٧٠ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص ٢٣٥، عبد السلام الطود: بنو عباد بأشبيلية ص ١٣٥، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس ص ١١٠، الحجى: التاريخ الأندلسى الطبعة الأولى ص ٣٣٧.

(٣) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥ مجهول: الحلل الموشية ص ٧٣، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ١٠٣.

(٤) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين والموحدين مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) مجلد ١١ جـ ٢ ص ٩٧ سنة ١٩٤٩ م.

(٥) عنان: دولة الإسلام فى الأندلس (عصر الطوائف) ص ٤٤، ص ١١٨ وما بعدها، إحسان عباس: الأدب الأندلسى: عصر الطوائف والمرابطين ص ١٣، ص ١٤، التبيان: ص ١٧٦.

(٦) الونشريشى: (أبو العباس يحيى) المعيار المغرب جـ ٣ ص ٣٠٦، مؤلف مجهول: ذكر بعض مشاهير فاس فى القديم، تحقيق عبد القادو زمامة مجلة البحث العلمى الرباط ص ٥٢ سنة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٣٤.

(٨) ابن الخطيب: المصدر السابق جـ ١ ص ١٣٦.

(٩) البيذق: أخبار المهدى: ص ١٢٥ ـ ١٢٧.

ولما فتح يوسف بن عبد المؤمن شرق الأندلس أنزل زناتة بلنسية وأنزل صنهاجة[١] وهسكورة[٢] فى شاطبة ومرسية وأنزل أهل تينمل[٣] فى لورقة كما أنزل قبيلة جومية[٤] فى المرية وبرشانة من إقليم غرناطة ولقد اختلفت مهن البربر تبعًا لأوضاعهم فقد عملوا فى التجارة[٥]

---

(١) احتلت قبائل صنهاجة مساحات شاسعة من المغرب إذ امتدت من نول لمطة فى جنوب المغرب الأقصى إلى القيروان فى إفريقية حيث أقاموا فى المناطق الصحراوية، انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث ص ٢٢٥ تحقيق العبادى، بن أبى دينار القيروانى: المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ص ١٠١، حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٤، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ٦٩٠.

J.S.Trimingham, A History of Islam in West Africa, P.; 20

يقول ابن خلدون «هذا القبيل من أوفى قبائل البربر وهو أكثر أهل المغرب لهذا العهد وما بعده لا يكاد قطر من الأقطار يخلو من بطن من بطونهم فى جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أول البربر» ابن خلدون: العبر جـ ٦ ص ١٥٢ عن صنهاجة انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث، العبادى ص ٢٢٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٦ ص ١٢٨، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ٣، يذكر عبد العزيز بن عبد الله أن صنهاجة ضمت مجموعة كبيرة من القبائل بلغة سبعين قبيلة: عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب جـ ١ ص ١٠٠.

(٢) أما هسكورة فقد وصفهم ابن خلدون بقوله «وأما هسكورة وهم لهذا العهد فى عداد المصامدة وينسبون إلى دعوة الموحدين وهم أمم كثيرة وبطون واسعة ومواطنهم بجبالهم متصلة من درن إلى تادلا من جانب الشرق إلى درعة من جانب القبلة «ابن خلدون» نفس المصدر جـ ٦ ص ٢٠٣.

(٣) أهل تينمل وترجع أهميتها لانضمامها للدعوة الجديدة وإقامة المهدى بين ظهرانيهم ومن هنا اكتسبوا منزلة بين القبائل «يقول ابن القطان» وكذا تينمل إخوتهم ـ أى أخوة قبيلة هرغة ـ فى التعصب على دعوة المهدى والاشتمال عليه والقيام بأمره حتى تحيز إليهم وبنى داره ومسجده بينهم فكان يعطيهم من الفىء بقدر عظيم.

ابن القطان نظم الجمان ص ٣٠، البيذق: أخبار المهدى، ابن خلدون نفس المصدر: جـ ٦: ص ٢٦٧.

(٤) وكومية تنتسب إلى قبائل البتر وهم يعرفون قديما بصطفورة بطن من بنى فاتن بن تامصبت بن ضرى بن زجيك بن ماذغيش الأبتر وهم أبناء عم زناتة، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ٩٩ البيذق: نفس المصدر ص ١٢٧ عن كومية: انظر ابن خلدون: العبر جـ ٦، ص ١٢٦، عبد العزيز بن عبد الله: وحدة المغرب العربى ص ٥٤ مجلة تطوان عدد ١ ص ٥٦.

(٥) كان التجار المغاربة يستوردون الذهب والجلود والعاج وغيرها من البضائع من غانا ويصدرون إليها الملح والنحاس والمسبوك والأصداف وآلات الحديد المصنوع، انظر الإدريسى: وصف المغرب والأندلس ص ٦٦.

والزراعة[١] والصناعة[٢] وتولوا بعض الأعمال الإدارية بالإضافة إلى بعض المهن الأخرى مثل العمل فى مناجم الفحم وحراسة الدروب[٣]، هذا إلى جانب الطبقات الحاكمة من الأمراء والوزراء والقادة المرابطين[٤] والموحدين.

أما عن علاقة البربر بأهل البلاد سواء من أهل غرناطة أو المدن الأندلسية الأخرى، فقد بينها المقرى بقوله «عرف أهل الأندلس ببغضهم وعداوتهم للبربر فلا تجد أندلسيًا إلاّ مبغضًا بربريًا، وبالعكس إلاّ أن البربر[٥] أحوج إلى أهل الأندلس لوجود بعض الأشياء عندهم وفقدهم فى بلاد البربر» وهم فى نظر الأندلسيين نكد وشؤم والدماء عندهم[٦] هوان «وإذا غضبوا قتلوا أو جرحوا»[٧].

---

(١) اتخذت قبائل البربر الفلاحة مهنة لهم يتوارثونها فكانوا يزرعون الأرض مستغلين الظروف الطبيعية فى استثمار المحاصيل الزراعية المختلفة، فقبائل المصامدة اهتموا بالزراعة وغرس الأشجار، انظر Terrasse: Historie du Maroc.; P. 22 كذلك قبائل دكالة امتهنت الزراعة وقامت بزراعة البساتين والحدائق المختلفة، انظر مجهول: الاستبصار ص ٢٠٩ أما قبائل تامسنا فقد اشتغلت بالزراعة، وصفهم الإدريسى بقوله «وقبائل تامسنا شتى متفرقة فمنهم برغواطة ومطماطة وبنو تسلت وبنو يغمران ورقارة وبعض من زناتة وبنو يخفش من زناتة وكل هذه القبائل أصحاب حرث ومواشى وجمال» انظر الإدريسى: وصف المغرب والأندلس ص ٧٠ ـ ص ٧١، ابن سعيد: نزهة الأنظار جـ ١ ص ١٤.

(٢) حينما استولى عبد المؤمن بن على على مراكش من يد المرابطين فإنه أبقى على أرواح الصناع، يقول ابن الأثير «ولما فتح عبد المؤمن مراكش أقام بها واستوطنها واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فأكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها فلما كان بعد سبعة أيام فنودى بأمان من بقى من أهلها فخرجوا فأراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع وأهل الأسواق ممن ننتفع بهم، فتركوا وأمر بإخراج القتلى من البلد فأخرجوهم» ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ٨ ص ٣٠١ ، ٩ أجزاء مطبعة الاستقامة: راجع عن امتهان البربر الزراعة والصناعة والتجارة Terrass; Histoire du Maroc. P. 22.

(٣) مؤلف مجهول: بعض مشاهير فاس ص ٥٥، ص ٥٦.

(٤) مجهول: الحلل الموشية ص ٣٣.

(٥) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ٢٢٨ ـ ص ٢٢٩ ط القاهرة سنة ١٩٤٩.

(٦) المراكشى: المعجب ص ٩٩ طبعة سنة ١٩٤٩.

(٧) ابن عبدون: ثلاث رسائل ص ٢٨.

وكان دخول البربر فى الحياة المدنية بصورة واسعة من الأشياء التى آلمت الأندلسيين الذين كانوا أسبق فى مجال الحياة المدنية[١]، فأهل غرناطة رفضوا تولية ابن حماد الصنهاجى قاضيًا عليهم فى سنة ٥٣٥ هـ ـ سنة ١٩٤١ م[٢] ومما زاد فى هذه الفجوة بين الأندلسيين والبربر ما يسميه ابن الخطيب «النفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة»[٣].

والبربر الذين دخلوا المدينة من الأرياف أصبحوا كما يذكر حسين مؤنس طبقة جديدة حاكمة متميزة، فوجد الأندلسيون فرصة للنيل منهم بسبب أصلهم البربرى[٤].

ويذكر الشقندى أنه لولا توسط ابن عياد لدى شعراء الأندلس فى مدح يوسف بن تاشفين «ما أجروا له ذكرا ولا رفعوا لملكه قدرا»[٥] وعرَّضوا بجهل الأمير يوسف بن تاشفين باللغة العربية[٦].

وفى عهد الخليفة الموحدى أبى يوسف يعقوب بن عبد المؤمن وصف ابن رشد الحفيد الخليفة الموحدى بملك البربر وكان ذلك من أسباب محنته[٧].

---

(١) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى ص ٨٢.

(٢) ابن بشكوال الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس جـ ٢ ص ٦١٤ تحقيق عزت العطار القاهرة مكتبة الخانجى سنة ١٩٥٠ حاشية رقم (١) «هو موسى ابن حماد الصنهاجى من أهل العدوة، يكنى أبا عمران كان فقيهًا حافظا للرأى، عالما بالمسائل والأحكام مقدمًا فى معرفتها، تولى القضاء بحضرة مراكش توفى بها فى ذى القعدة من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ومولده سنة ست وأربعين» انظر المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام: جـ ١ تحقيق ليفى بروفنسال، ص ٢٧٧.

(٤) حسين مؤنس: سبع وثائق جديدة صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنه ١٩٤٥ المجلد الثانى العدد ١ ـ ٢ ص ٧٥ ونصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطية إلى الموحدين معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٥ المجلد الأول عدد ٣ ص ١١٨.

(٥) المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ١٩١، طبعة دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٧.

(٦) المقرى: المصدر السابق: نفس الجزء ونفس الصفحة.

(٧) المراكشى: المعجب: ص ٢٨٤ «فى ذلك يذكر المراكشى، فإن الحكيم أبا الوليد ـ رحمه الله ـ أخذ فى شرح كتاب الأسطاطليس صاحب كتاب المنطق، فهذبه، وبسط أغراضه وزاد فيه ما رآه لائقًا به، فقال فى هذا الكتاب عند ذكره الزرافة: وكيف تتولد وبأى أرض تنشأ: «وقد رأيتها عند ملك البربر» انظر المصدر السابق، نفس الصفحة.

وعلى الرغم من أن هذا هو الطابع الغالب عند أهل غرناطة والأندلسيين عامة فى نظرتهم إلى البربر، فهناك قلة من الأندلسيين ـ من الكتاب والفقهاء ـ تجاوزت الأصل البربرى ونظرت للمرابطين نظرة حب وتبجيل، فبفضل المرابطين هُزم ألفونسو السادس فى الزلاقة، وقد أظهر الأندلسيون إعظامهم ليوسف بن تاشفين[١].

وفى ذلك يقول المراكشى: «فلم يزل أصحاب يوسف بن تاشفين يطوون تلك الممالك مملكة مملكة إلى أن أمددت أنت لهم الجزيرة بأجمعها، فأظهروا فى أول إمرتهم من النكاية فى العدو، والدفاع عن المسلمين وحماية الثغور، ما صدق بهم الظنون، وأثلج الصدور وأقر العيون فزاد حب أهل الأندلس لهم»[٢].

ومن هؤلاء الكتاب أبو بكر يحيى بن الصيرفى، المؤرخ الغرناطى وهو أحد الشعراء المجودين، له تاريخ مفيد قصره على الدولة اللمتونية وكان من شعرائها وخدام أمرائها توفى سنة ٥٥٧ هـ عن تسعين عاما[٣].

كذلك الفقيه ابن العربى الذى دافع عن المرابطين بوله «ولو لم يكن لهم فضل سوى الزلاقة لكفاهم»[٤].

هذا وقد استغل بعض الأندلسيين لبس اللثام تشبهًا بالمرابطين لإنجاز بعض الأعمال التى تعود عليهم بالنفع مما دعا ابن عبدون إلى أن ينهى عن لبسه قائلا «يجب أن لا يلثم إلاّ صنهاجى أو لمتونى أو لمطى فإن الحشم والعبيد ومن لا يجب أن يلثم يلثمون على الناس ويهيبونهم ويأتون أبوابًا من الفجور كثيرة بسبب اللثام»[٥].

---

(١) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٢٦.

(٢) المراكشى: المعجب: ص ٢٢٦، عن ذلك انظر Dozy: Hist.: P: 300

(٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ٢ ص ١١٨ «ألف كتابا فى العصر المرابطى أسماه الأنوار الجلية فى أخبار الدولة اللمتونية المرابطية» انظر ابن الخطيب: مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤١٥.

(٤) الونشريشى: المعيار المغرب جـ ١٢ ص ١٧٩ وما بعدها.

(٥) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ٢٨.

الأندلسيون:

بعد فتح الأندلس، أسلم كثير من الأسبان وقد عرفوا هؤلاء الأسبان باسم المسالمة[١]، وقد أنجب هؤلاء المسالمة جيلاً جديداً عرفوا باسم المولدين[٢]، وهم الذين ولدوا من آباء مسلمين فنشأوا على الإسلام.

وقد تميز القرن الخامس الهجرى بصعوبة التمييز بين العناصر والأجناس البشرية الموجودة فى البلاد الأندلسية سواء من العرب أو البربر أو المسالمة أو المولدين، فقد تم التمازج بين تلك العناصر فأطلق عليهم جميعًا الأندلسيين، ويذكر †Simonetان هذا اللفظ ظهر منذ القرن الثالث / أوائل العاشر الميلادى عندما اختفت ألفاظ أخرى مثل مسالمة ومولدين[٣].

ويبدو أن هذا كان مفهوم معظم الكتاب والمؤرخين أمثال ابن عبدون حين كان يفرق بين الأندلسيين والمرابطين[٤].

وبهذا المفهوم أيضًا استعمل اللفظ فى التشكيلات العسكرية حيث يذكر ابن الخطيب فى حديثه عن الأندلسيين من أهل غرناطة[٥] «وجندهم صنفان أندلسى وبربرى والأندلسى منهم يقودهم رئيس من القرابة أو حَصِيّ»[٦] وبهذا المفهوم أيضًا استعمل ذلك

---

(١) لطفى عبد البديع: الإسلام فى أسبانيا: ص ٢٤ انظر عن هؤلاء المولدين فيليب حتى: تاريخ العرب.

(2) Simonet: Los Mozarabes; p.XVI. Del Prolgo, Levi - Provencal: Histoire de L'Espan. P 74 - 75.

(3) Simonet: OP. Cit; Levi Provencal: OP. Cit. p. 74 - 75; Levi Provencal: L; Espagne Musulmane, P. 18 - 20.

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٩، ص ١٦.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٦.

(٦) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٣٦، «الحَصِيّ هو الرجل الوافر العقل، انظر المصدر السابق نفس الجزء والصفحة، هامش رقم ٤١.

اللفظ فى تشكيلات الموحدين الإدراية، فقد كانت عندهم هيئة استشارية من أشياخ الأندلسيين[١].

وكان من هؤلاء الأندلسيين من كانت أصوله غير عربية مثل ابن همشك[٢] وبنى مردنيش[٣]، كذلك يذكر ابن الخطيب أن كثيرين من أهل غرناطة أنسابهم عربية «يكثر فيها القرشى والفهرى و الأموى والآمى والأنصارى، والأوسى والخزرجى والقحطانى، والحميرى والمخزومى والتنوخى والغسانى والأزدى والقيسى والمعافرى والكنانى والتميمى والهذلى والبكرى والكلابى والنمرى واليعمرى والمازنى والثقفى والسلمى والفزارى والباهلى والعبسى والعذرى والحججى والضبى. . . والقشيرى والقضاعى»[٤].

إلى آخر هذه الأسماء التى ترجع فى نسبها الى أصولها العربية، هذا وقد اشتغل هؤلاء الأندلسيون بمهن كثيرة فعملوا فى الزراعة والصناعة والتجارة[٥]، ويذكر حسين مؤنس أنهم كانوا من أوفر العناصر البشرية نشاطًا وأكثرها تلاؤمًا مع ظروف الحياة فى شبه الجزيرة الأندلسية[٦].

هذا وقد اشتهر كثيرٌ من الأندلسيين فى العصر المرابطى، فكان يوسف بن تاشفين «يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الأمور إليهم ويأخذ برأيهم ويقضى على نفسه بفتياهم»[٧] ولذلك ترك المرابطون والموحدون مناصب القضاء والفتيا فى القواعد الكبرى للأندلسيين وذلك لسبب واضح وهو أنه لم يكن بين العلماء المرابطين من يستطيع الاضطلاع بهذه المناصب فى بلد كالأندلس، امتاز قضاته بغزير علمهم، فكان أولئك

(١) انظر عنهم: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١١٢، ص ١١٣، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ قسم ٣ ص ٥٨ العصر الموحدى، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص ٨٧، وتنظيمات الموحدين ص ٢٢٥ ـ ص ٢٥٦.

(٢) عن ابن همشك انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٣٠٥ ـ ص ٣١١، ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ١٨٠ وما بعدها.

(٣) Dozy: Recherches 1,P.P. 368 - 369

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٥.

(٥) مجهول: ذكر بعض مشاهير أعيان فاس، ص ٥٦ وما بعدها.

(٦) حسين مؤنس: فجر الأندلس: ص ٤٣٥.

(٧) مجهول: الحلل الموشية: ص ٨٢، تحقيق عبد القادر زمامة، طبعة سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

القضاة الأندلسيون يتمتعون لدى العاهل المرابطى بكثير من النفوذ ولهم كلمة مسموعة فى كثير من الشئون الهامة وكانوا فى نفس الوقت رسله لتدعيم هيبته ونفوذه لدى الشعب الأندلسى[١].

هذا وقد بلغ من نفوذ الفقهاء والقضاة الأندلسيين أنهم كانوا يعينون فى المناصب حتى فى بلاد المغرب، فقد تولى القاضى عبد العظيم بن يزيد بن يحيى بن يزيد بن هشام الخولانى من قرية غلجر من قرى إقليم غرناطة، قضاء دكالة، ثم قضاء سلجماسة[٢].

وقد تحدث ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة عن الأندلسيين من أهل غرناطة فوصف أخلاقهم وعاداتهم فقال «أحوال هذا القطر فى الدين وصلاح العقائد أحوال سنية والنحل فيهم معروفة فمذاهبهم على مذهب مالك بن أنس»[٣].

ويستوقف نظرنا قوله «وصورهم حسنة وألوفهم معتدلة وألوانهم زهر مشربة بحمرة، وألسنتهم فصيحة عربية يتخللها غرب كثير، وتغلب عليهم الإمالة وأخلاقهم أبية فى معانى المنازعات وأنسابهم عربية، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير، ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملف المصبوغ شتاء...»[٤]، ثم يستمر فى وصف الأندلسيين من أهل غرناطة فيقول «فتبصرهم فى المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة فى البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة»[٥] ثم يواصل ابن الخطيب حديثه فيتحدث عن نساء غرناطة فيصفهن بأنهن ذوات جمال «موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة إلا أن الطول يندر فيهن»[٦].

---

(١) المراكشى: المعجب: ص ٢٢٨ وما بعدها، انظر عنان: دولة الإسلام فى الأندلس (عصر المرابطين): القسم الأول ص ٤٩٦.

(٢) ابن الزبير: أبو جعفر أحمد: صلة الصلة: ص ٣٤، القسم الأخير وهو ذيل للصلة البشكوالية فى تراجم أعلام الرباط، صححه وعلق عليه ليفى بروفنسال، الرباط ١٩٣٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٤.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٤ ـ ص ١٣٥، الملف المصبوغ هو الجوخ المنسوج من الصوف، انظر ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٣٨، Dozy: Diction: p 114.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٣٥.

(٦) ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١٣٩.

هذا وقد شارك الأندلسيون من أهل غرناطة بخبرتهم فى مختلف المناصب فى الدولة، فقد عين الأندلسيون فى أهم تلك المناصب مثل القضاء والفتيا كما سبق أن ذكرت بالإضافة إلى منصب الكتابة، فكان بلاط مراكش فى عهد على بن يوسف يضم طائفة من أقدر الكتاب الأندلسيين فى هذا العصر وكان من الطبيعى أن تعتمد الدولة اللمتونية التى نشأت فى بيئة من البداوة والتقشف فى شئون الكتابة على أقطاب البلاغة من الكتاب الأندلسيين وأن يكون أولئك الكتاب ألسنتها لدى الشعب الأندلسى الذى اعتاد على أساليب الكتابة الراقية[١].

وفى العصر الموحدى اتخذ الخلفاء الموحدون والسادة من الولاة سواء بالمغرب أو الأندلس أبلغ كتاب العصر من الكتاب الأندلسيين[٢].

وكما تأثر خلفاء الموحدين بعلمائهم وأدبائهم فقد تأثروا أيضا برجال الفن الأندلسيين ومهندسيهم ونخص بالذكر منهم مهندسين اشتركا فى تشييد معظم آثار بنى عبد المؤمن، وهما أحمد بن باسة عريف البنائين فى الأندلس، والحاج يعيش المالقى[٣] الذى اشترك فى بناء حصن جبل طارق[٤]، واستفاد الموحدون من ابن رشد الحفيد وابن طفيل الوادى آشى وابن جعفر الذهبى وغيرهم فى الطب والصيدلة[٥].

وهكذا نرى أن المرابطين والموحدين لم يستطيعوا أن يزاحموا الأندلسيين فى مراكز القضاء والفتيا والكتابة والحسبة وغيرها من الوظائف الهامة التى شغلها الأندلسيون دون منازع.

---

(١) مجهول: الحلل الموشية: ص ٤٩، عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين: ص ٤١٧.

(٢) عنان: المرجع السابق: ص ٣٦٣ عصر الموحدين.

(٣) ابن عذارى: «البيان المغرب: جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٩٧.

P. Antuna Melchor, Sevilla ysus monumentos Arabes, P.P. 131 - 133.

Torres Balbas, Arquitectos Andaluces de los Epocass Almoravidey Almohade; Al - Andalus, 1946, Face 1, P.P. 214 - 224.

(٤) عن ذلك انظر: عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامى): ص ٨٣٥.

(٥) عن هؤلاء انظر: ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء: جـ ٢ ص ٦٦ ـ ٨٩.

أهل الذمة:

بجانب العنصرين البربرى والأندلسى أقام فى غرناطة خليط عجيب من أصول أسبانية[١] ممن احتفظوا بديانتهم (سواء المسيحية أو اليهودية) وعاشوا فى كنف الدولة الإسلامية وهؤلاء سموا بأهل الذمة[٢] كما أطلقت عليهم الروايات اسم الروم المعاهدة[٣] أو النصارى المعاهدين[٤] أو المعاهدين فقط[٥]، ويندرج تحت هذا اللفظ أيضًا

---

(١) لطفى عبد البديع: الإسلام فى أسبانيا: ص ٢٧، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم من ٢٣٠، العبادى فى تاريخ المغرب والأندلس ص ١١٧.

(٢) أهل الذمة: النصارى المعاهدون أو المستعربون بالأسبانية Los Mozarabes وهم النصارى الذين بقوا بعد الفتح الإسلامى فى الأندلس حيث سكنوا المدن والبقاع المفتوحة تحت حكم الدولة الإسلامية، وكانوا يكونون أقليات كبيرة فى القواعد الرئيسية مثل قرطبة وأشبيلية وطليطلة وغرناطة ويتمتعون فى ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلى، ويطبقون شرائعهم الدينية، ولهم قضاؤهم الخاص ولهم كنائسهم يزاولون شعائرهم الدينية، وكانوا فوق ذلك يتمتعون بنفوذ قوى ويحتل الكثير منهم مناصب عامة فى الجيش والحكومة، وقد أنشات الحكومة الإسلامية فى الأندلس - اعترافًا منها بأهمية الأقليات النصرانية - منصب القومس للنصارى ليكون مرجعهم الرئيسى فى شئونهم الروحية وكان القومس من الشخصيات ذات النفوذ، ولما نمت هذه الأقليات النصرانية واردهرت، بدأت فى مناوأة الحكومة الإسلامية وتدبير الدسائس ضدها، وكانت عضد الثورات المختلفة فى المدن والمقاطعات الثائرة ولا سيما طليطلة وما يجاورها من المدن القريبة من حدود النصارى «وسوف نرى ما فعله المعاهدة من استدعائهم ابن ردمير لغزو غرناطة، ومن الغريب أنهم مع بغضهم للإسلام والحكومة الإسلامية كانوا يأخذون بسقط وافر من التقاليد الإسلامية وكانوا يتكلمون العربية ويستعملونها فى معاملتهم، ولبث النصارى المعاهدة على مر العصور شوكة فى جنب الإسلام، وفى تاريخ النصارى المعاهدين خصص العلماء الأسبان مصنفات كثيرة فى تاريخ المعاهدين منهم المستشرق Simonet الذى وضع مؤلفًا كبيراً عنوانه.

Historia de Los Mozarabes de Espagne

عن النصارى المعاهدة انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٦ - ص ١١٤، ابن عذارى: البيان، جـ ٤ ص ٤٠.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٤٠، وسمى أيضًا المعاهدة بالروم البلديين.

(٤) مجهول: الحلل الموشية: ص٩٠ - ص٩١، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٦ - ص ١١٤.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٦٩ - ٧٣، ابن الخطيب: المصدر السابق: نفس الصفحات.

اليهود[١] الذين يسميهم ابن صاحب الصلاة فى كتابه المن بالإمامة «اليهود الإسلاميين»[٢] وهم اليهود الذين عاشوا فى ظل السيادة الإسلامية.

ولقد سكن أهل الذمة من النصارى واليهود فى سائر المدن الأندلسية[٣] كما يلاحظ انتشارهم الواسع فى أرياف الأندلس أيضًا[٤].

ومنذ عصر الطوائف تدفقت موجات كبيرة من اليهود إلى الجنوب حيث كان لهم شأن كبير فى مملكة غرناطة فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى[٥]، وصارت تضم أكبر جالية يهودية، فسميت بغرناطة اليهود[٦]، لكثرة اليهود النازلين بها، كما كشفت حملة ابن رزمير[٧] فى سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م والتى هاجم فيها الأندلس من الشمال حتى الجنوب وعاث فى أقطاره فسادًا، فهى تدل على مدى انتشارهم الواسع وخاصة فى غرناطة[٨] فيذكر ابن عذارى «إن الأمير أبا طاهر ـ والى غرناطة ـ لما هم بثقافهم أعياه ذلك لكثرتهم وبعد أقطارهم»[٩].

كان لاستقرار أهل الذمة من اليهود والنصارى فى أرياف الأندلس وخاصة غرناطة أن

---

(١) ابن الخطيب: نفس المصدر: نفس الصفحات.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١.

(٣) ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٣٩ ـ ص ٤١ جـ ٤، قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٥٠ ـ ص ٥٣، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ ـ ص ٩١، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٣، ص ٢٤، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١، وما بعدها.

(٤) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢٣، ص ١٠٨، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٣٦، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٥) الحميرى: المصدر السابق: ص ٢٣، التبيان: ص ٣٢.

(٦) الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣.

(٧) هو ألفونسو الأول ملك أراجون ويعرف فى الروايات العربية باسم ابن رزمير وكان صعب المراس حتى أنه لقب بالمحارب، انظر ابن عذارى: البيان: جـ ١ ص ١٠٨ ـ ص ١١٤، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ ـ ٩١، أمبرسيو هويشى ميراندا: على بن يوسف وأعماله فى الأندلس، مجلة تطوان، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب، العدد ٣ ـ ٤، سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩، ص ١٧٢.

(٨) ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١٠٦ ـ ص ١١٤.

(٩) ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٧٠.

عملوا فى الزراعة والرعى والصيد[١]، وقد استفاد ألفونس السادس لقشتالى من النصارى المعاهدة فى غرناطة فنقل عدداً كبيراً منهم سنة ٤٨٧ هـ (١٩٠٤ م) لعمارة أرض طليطلة[٢].

وفى ذلك يقول ابن عذارى «واتصل النبأ بإذفونش ـ وقحه الله ـ وقد تجاور فى نصف طريقة لنصرة لزريق، وبلغه هديته من نهب المحلة، فكره أن يفرق جمعه وينظف جيشه، فقصد أرض وادى آشى من نظر غرناطة، فتردد فى جهاتها، واكتسح ما ألقاه بها وحمل جملة من رعيتها المعاهدة لعمارة أرض طليطلة[٣].

كما عمل أهل الذمة وخاصة اليهود فى صناعة الذهب والفضة والنحاس وما يصاغ منها[٤]، ويؤكد هذا ابن يوسف الحكيم فيذكر: أن أهل الذمة وخاصة اليهود كانوا يشتغلون فى الصياغة والصيرفة[٥]، أما الخطط الإدارية مثل الكتابة والحجابة والوزارة فلم نسمع عن تولى ذمى لأى من هذه المناصب فى عصر المرابطين والموحدين على الرغم من تولى هذه الوظائف فى عصر ملوك الطوائف[٦].

ولكن تولى بعض الذميين أعمال الجباية فى عهد الأمير المرابطى على بن يوسف اذ يذكر ابن الأثير أن على بن يوسف استعمل جنده الرومى فى أعمال الجباية[٧]، ويتضح من

(١) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢ ـ ص ١٠٨، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٤٣ ـ ص ١٤٤، ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٧١.
«حيث جلب النصارى المعاهدة الأقوات والعلوفات لجيش ألفونسو المحارب» انظر: ابن عذارى، المصدر السابق ص ٧٩.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٣٦.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٣٦.

(٤) Goitein, Jews and Arabs; P. 115.

(٥) ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، تحقيق حسين مؤنس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد: سنة ١٣٧٩ / ١٩٦٠، ص ١١٥ ـ ص ١١٦.

(٦) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢.

(٧) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٥٧٣، ابن عذارى: المصدر السابق: ص ٢٦ عن ذلك انظر: حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١١، حركات: المغرب عبر التاريخ: ص ٢٢٩، ليفى بروفنسال: الإسلام فى المغرب والأندلس: ص ٢٢٧، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، ابن عذارى: المصدر السابق: ص ٢٦.

هذا أن أهل الذمة استخدمهم المرابطون ثم الموحدون فى بعض فرق الجيش[١]، يقول ابن عذارى «وفى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة خرج تاشفين بعسكر كبير من لمتونة والحشم وزناتة لقتال الموحدين ومعه جمع من النصارى مع قائدهم الربرتير فبقى يحاربهم نحو شهرين، ثم رجع إلى مراكش»[٢].

بالإضافة إلى هذه المهن نجد أهل الذمة يقومون بالاشتغال بتدريس العلوم المختلفة والعمل فى مجال الطب مما جعل ابن عبدون ينهى عن عمل اليهود والنصارى فى هذا المجال فهم غير أمناء فى نقل العلوم، قال «يجب أن لا يباع من اليهود ولا من النصارى كتاب علم إلا ما كان من شريعتهم فإنهم يترجمون كتب العلوم وينسبونها إلى أهلهم وأساقفتهم وهى من تواليف المسلمين[٣]، كما كان يشك فى نصيحتهم الخاصة للمرضى المسلمين «لا يترك طبيب يهودى أو نصرانى أن يجلس ليطيب المسلمين فإنهم لا يرون نصيحة مسلم إلا أن يطيبوا أهل ملتهم»[٤] ولذلك راعى ابن عبدون «ألا يعالج يهودى أو نصرانى[٥] مسلمًا».

وقد بلغ أهل الذمة قدرًا كبيرًا من الثراء وخاصة اليهود مما دفع ابن تاشفين إلى فرض أموال كثيرة عليهم ليستعين بها فى دعم مركزه[٦]، يقول ابن عذارى «فيها أى سنة ٣٦٣ هـ افترض على اليهود ضريبة ثقيلة فى جميع طاعته اجتمع له فيها مائة ألف دينار عشرية نيف على ثلاثة عشر ألف دينار»[٧] وذلك يدل على ما كان يتمتع به أهل الذمة من ثراء كبير.

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة، ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٩٨، انظر حسن محمود قيام دولة المرابطين نفس المرجع والصفحة، أشباخ: جـ ٢ ص ٢٣٩ وعن استخدام النصارى المعاهدين فى العصر الموحدى وعصر عبد المؤمن بن على وابنه يوسف انظر أخبار المهدى: ص ١٢٧.

J.F.P.: Hopkins; Medieval Muslim; P. 69.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٩٨.

(٣) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ٥٧.

(٤) ابن عبدون: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) ابن عذارى: نفس المصدر: ٥٥.

(٦) ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٢٣.

(٧) ابن عذارى: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة.

هذا وقد تأثرت فئة أهل الذمة بالتطورات السياسة التى طرأت على الأندلس كما سبق القول فبسيطرة المرابطين ومن جاء بعدهم من الموحدين تغيرت أوضاع أهل الذمة من النصارى واليهود، فبالنسبة للمعاصرين النصارى، فقد التزمت الدولة تجاههم بتعاليم الشريعة الإسلامية وهى أن يختاروا أحد أمرين: إما الدخول فى الإسلام، أو دفع الجزية[١] ومن الواضح أن أغلب هؤلاء النصارى رضى بدفع الجزية[٢].

هذا وقد اختلفت أوضاع أهل الذمة من المعاهدة فى عصر المرابطين والموحدين، عنها فى عصر ملوك الطوائف، حيث عاش هؤلاء المعاهدة فى ظل انتعاش اقتصادى لم يألفوه من قبل ولم يواجههم أى اضطهاد يذكر[٣]، فقويت شوكتهم وخاصة فى غرناطة[٤]، يقول ابن عذارى: واكتسبوا الجاه والمال واستطالوا على المسلمين[٥] وتعسفوا فى جباية الضرائب، ويقول ابن الكردبوس: إن ملوك الطوائف وكلوا أمور المسلمين إلى اليهود فعاثوا فيها عيث الأسود[٦] فكانت هذه العوامل سببًا فى بغضهم والثورة عليهم وخاصة فى غرناطة[٧].

وفى عهد الأمير على بن يوسف بن تاشفين قام النصارى المعاهدة فى غرناطة باستدعاء ابن رزمير عدو المسلمين وزينوا له اقتحام غرناطة[٨]، يقول ابن الخطيب: «ولما تحركت

---

(١) الماوردى: الأحكام السلطانية: ص ١٤٢، الريس: الخراج والنظم المالية: ص ١٢٢، صبحى الصالح: النظم الإسلامية: ص ٣٦٣.

(٢) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين: جـ ١ ص ١٧.

(٣) Levi Provencal, Histoire de L'Espagne Muslumane, 1 P.P. 80 - 81

(٤) ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ١١٤، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٣ ص ٢٦٤، عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٤٥.

(٥) ابن عذارى: نفس المصدر: نفس الجزء والصفحة.

(٦) ابن الكردبوس: الاكتفاء: ص ٧٨.

(٧) عن ثورة أهل غرناطة على اليهود ومقتل ابن التفريلة اليهودى انظر عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٥٤، ابن بسام: الذخيرة: جـ ١ قسم ٢ ص ٢٧٨ وما بعدها، المقرى: النفح: جـ ٤ ص ٣٢٢.

(٨) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٦٩ ـ ص ٧٠ «ابن رزمير هو الاسم الذى تطلقه الرواية الإسلامية على ألفونسو الأول ملك اراجون (١١٠٥ ـ ١١٣٤) نسبة إلى اسم أبيه راميرو، وقد كان ملكًا مقدامًا وهو الذى افتتح سرقسطة من يد المسلمين فى سنة ١١٨ م وانتزع إلى جانبها باقى قواعد الثغر الأعلى، وفى سنة ١١٢٥ م (٥٩٨ هـ) خرج بقواته استجابة =

لعدو الله الطاغية ابن رزمير ريح الظهور، على عهد الدولة المرابطية قبل أن يخص الله شوكته على افراغة بما هو مشهور، أملت المعاهدة[١] من النصارى لهذه الكورة إدراك الثره وأطمعت فى المملكة فخاطبوا ابن رزمير من هذه الأقطار، وتوالت عليهم كتبهم وتواترت رسلهم ملحة بالاستدعاء مفعمة فى دخول غرناطة فلما أبطأ عنهم، وجهوا إليه زماما على اثنى عشر ألفا من أتجاد مقاتليهم فاستأثروا طمعه وابتعثوا جشعه واستفزوه بأوصاف غرناطة وما لها من الفضائل على سائر البلاد وبفحصها الأفيح وكثرة فوائدها من القمح والشعير والكتان وكثرة المرافق.[٢]

فكانت هذه الأحداث وموقف أهل الذمة من المسلمين سببا فى أن دفعت أمير المسلمين على بن يوسف إلى تغريب عدد كبير من النصارى إلى المغرب الأقصى خاصة بعد أن عبر ابن رشد[٣] إلى أمير المسلمين على بن يوسف وأفتاه بتغريب هؤلاء النصارى وغيرهم ممن يتعاونون مع العدو[٤].

يقول صاحب الحلل الموشية «وفى سنة ٥١٩ هـ جاز القاضى أبو الوليد ابن رشد إلى مراكش فتلقاه أمير المسلمين على بن يوسف بالميرة والكرامة وبين له القاضى أمر الأندلس وما أصيبت به من النصارى المعاهدين بها وما جروه إليها وجنده عليها من استدعاء ابن رزمير وتقريته على المسلمين وإمداده وما فى ذلك من نقض العهد والخروج على الذمة فلقى نظره بالقبول وأفتاه بتغريبهم وإجلائهم عن أوطانهم وهو أحق ما يؤخذ به فى

= لتحريض النصارى المعاهدين إلى الغزوة المذكورة والتى يصفها كل من ابن عذارى وابن الخطيب».

(١) المعاهدة هم النصارى الذين شرحنا أحوالهم فيما تقدم وسموا كذلك بسبب المعاهدات التى ارتضى المسلمون عقدها معهم وسمح لهم فيها أن يحتفظوا بدينهم مقابل دفع الجزية، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٨، هامش رقم ٤.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٨ ـ ص ١٠٩.

(٣) يذكر كل من ابن الخطيب: فى الإحاطة، وصاحب كتاب الحلل الموشية أن جواز ابن رشد كان سنة ٥١٩ هـ بينما جعل ابن القطان جواز ابن رشد إلى المغرب ٥٢٢ هـ وهذا خطأ، انظر ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٧٢ هامش ٢.

(٤) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ ـ ص ٩١، ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١١٤.

عقابهم، ونفـذ عهده إلى جميع بلاد الأندلس بـإزعاج المعاهدين إلى ناحيـة مكناسة وسلا وغيرها من بلاد العدوة[١].

وقد ذهب بعض الكتاب أمـثال فليب حتى وكارل بروكلمـان إلى القول بأن أهل الذمة قد عاشوا فى كنف المرابطين فى جور وظلم واضطهاد[٢].

ولكن من الواضح أن دولة المـرابطين لم تقـف موقف العـداء من أهل الذمـة، ولم ينلهم جـور أو تعسف، فقـد حاول المـرابطون جاهدين عـدم الخروج عن منهج الشـريعة الإسلامية، ولم نجد فى سـياستهم ما يشير إلى مثل هذا التـعسف وأن ما لحق بأهل الذمة من النصارى واليهود على أيدى المرابطين كان نتيـجة لموقف النصارى المعاهدين وخاصة أهل غرناطة من المـسلمين، فقد كان هؤلاء النصـارى لا يدخرون وسعًا فى الكيـد والتآمر على المسلمين وتحريض ملوك النصارى ضدهم ومـساعدتهم فى الإيقاع بالمسلمين، حتى إذا سنحت الفـرصـة وسـقطت طليطلة سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) وبعـدها سـرقـسطة سنة ٥١٢هـ/ ١١٨ م وتوالت انتصارات ألفـونسو المحارب، ظن هؤلاء أنه بوسـعهم أن يعملوا شيئًا لضـرب الأندلس الإسلامية، فبعثوا بـكتبهم ورسلهم المتوالية يلحون عليـه فى افتتاح غرناطة[٣]، وتقـديم المسـاعـدة له، فشـعـر عندئذ أن الظروف مـواتية له فـقـام بحملتـه المشهورة[٤] إذن تغريبهم إلى بلاد العدوة كان جزاءًا لهم على ما فـعلوا، فقد نقضوا العهد وذلك باتصالهم بالعدو، وجعلوا من أنفسهـم جواسيس يعملون لصالح العدو، فكان لا بد من إبعادهم عن مواطن الاتصال بالعدو ونقلهم إلى المـغرب ليكونوا تحت المراقبة، وهذا ما فعله أمير المسلمين وهو بمثابة إجراء وقائى ضدهم حتى يأمن شرهم[٥].

---

(١) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ ـ ٩١.

(٢) فيليب حـتى: تاريخ العرب: ص ٧٠٤، ترجمة مبـروك نافع، الطبعة الثالـثة سنة ١٩٥٢، كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية: جـ ٢ ص ١٨٠، ترجـمة نبيه فارس ومنير البعلبكى، انظر أيضًا: S. P. Scott: History of the moorish Empire, P. 247.

(٣) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ ـ ٩١، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٨ ـ ١٠٩، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٧٢.

(٤) مجـهول: نفس المصدر والصـفحة، ابن الخطيب: نفس المـصدر والصفحـة، ابن عذارى: نفس المصدر والصفحة.

(٥) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠، ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٦٩.

هذا وقد حاول دوزى أن يصور هدم كنيسة غرناطة بأنه اضطهاد حل بالمعاهدين علمًا بأن هذا العصر كان يشهد حربًا طاحنة في المشرق أعلنها الصليبيون للاستيلاء على بلاد المشرق[١]، في الوقت الذى واجه المسلمون فى الأندلس حربًا طاحنة من قبل نصارى أسبانيا الذين أصبحوا يتحينون الفرصة للقضاء على الدولة الإسلامية فى الأندلس، وكان سقوط طليطلة ضربة قاصمة للمسلمين هناك، وما جاء المرابطون إلاّ لحماية الأندلس من السقوط فى أيدى نصارى أسبانيا، فكان هدم كنيسة غرناطة ما هو إلاّ موقف رد به المرابطون على نصارى أسبانيا الذين حولوا مسجد طليطلة الجامع إلى كنيسة، وذلك رغم تعهد ألفونسو السادس بعدم التعرض لعقائد المسلمين ومساجدهم[٢]، وكذلك مسجد سرقسطة الجامع الذى حوله ألفونسو المحارب «ابن رذمير» إلى كنيسة[٣] فإذا كانت هذه هى معاملة النصارى للمسلمين فلا غرو أن يهدم المرابطون كنيسة غرناطة التى يصفها ابن الخطيب بأنها فريدة فى العمران والطراز[٤] ولم يفرق المرابطون فى معاملتهم أهل الكتاب سواء كانوا يهودًا أم نصارى، فقد فرضت الجزية على اليهود الذين يفضلون البقاء على دينهم، وربما فرضت عليهم جزية أكبر نظرًا لثرائهم، كما يذكر ابن عذارى[٥] أن فرض الضرائب لم يقتصر على اليهود فقط بل أن المرابطين قد فرضوا بعض المعونات على جميع فئات المجتمع[٦] نظرا لحاجتهم إلى الأموال، بعد أن اتسعت رقعة دولة المرابطين وزادت نفقاتها[٧].

---

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٩.

(٢) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٩.

(٣) عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين: ص ١٠١، القسم الأول.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ص ١٠٧.

(٥) ابن عذارى: البيان جـ ٢ ص ٢٣.

(٦) لجأ المرابطون إلى فرض ضريبة جديدة على أهل الأندلس، تسمى التعتيب وذلك لبناء أسوار جديدة للمدن وترميم المتهدم منها مثل أسوار غرناطة والمرية، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٧٠ وما بعدها.

(٧) كانت الضرائب أهم ما هاجم به ابن تومرت المرابطين حين ثار عليهم، عن ذلك انظر أعز ما يطلب ص ٢٦١ عن اشتداد الأزمة المسالمية فى أواخر عصر المرابطين، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ١٠٢.

ومما يدل على تمتع اليـهود فى عصر المرابطين بالأمن والطمانينة أن علمـاءهم تمتعوا بحرية الكتابة والبحث والتأليف فقد نبغ منهم رجـال وصل بعضهم إلى قصور الحكام، فقد ذكر ابن عذارى أن أبا عمر ينالة اللمتونى والى المرابطين على غرناطة «كان له كاتب يهودى الأعراق والأخلاق[١].

ومن الشعراء اليـهود الذين نبغوا فى عصـر المرابطين الشاعر مـوسى بن عزرا الهالك (٥٢٢ هـ) من أهل غرناطة[٢].

ولما قامت الدولة الموحدية، حملت الرعيـة على إقامة أركان الإسلام وتنفيذ أحكامه بصرامة وحزم بقصـد خلق مجتمع إسلامى نقى[٣]، ولذلك رأى الخليفة عـبد المؤمن بن على أن يحمى الشباب الموحدى من مخـالطة اليهود والنصارى، شاربى الخمر وآكلى لحم الخنزير[٤]، فأصدر أوامره بأن يخير أهل الذمـة من اليهود والنصارى بين اعتناق الإسلام أو الجلاء عن البلاد، يقـول النويرى «وكان عبد المؤمن لا يداهـن فى دولته ويأخذ الحق من ولده إذا وجب عليه، قال ولا مشرك فى بلاد لأنه كان إذا امـتلك بلدًا إسلاميًا لم يترك فيه ذميًا إلا عرض عليه الإسـلام، فمن أسلم سلم، ومن طلب المضى إلى بلاد النصارى أذن له فى ذلك ومن أبى قتل، فجـميع أهل مملكته مسلمـون لا يخالطهم سواهم[٥] ولهذا لم تنعقد عند الموحدين ذمة يهودى أو نصرانى»[٦].

وفى عـهد الخليـفة أبى يوسف يعـقوب بن يوسف بن عـبد المـؤمن اسـتمر مـوقف المـوحـدين مـن أهل الذمـة حـتى أن الخليـفـة أبا يوسف يعـقـوب مـيـزهم فى سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م بلباس مـعين، يقـول المراكشى: «فى آخـر أيام أبى يوسف أمر أن يمـيز

(١) ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٧٧.

(٢) محمد مجيد السعيد: الشعر فى عهد المرابطين والموحدين: ص ٥٤ ـ ص ٥٥.

(٣) إذا عرفنا أن المهدى ابن تومـرت قد سفك الكثير من دماء أبناء القبـائل لتمردهم، أو لشكهم فى مبادئه فلا عجب أن يقتل من يهـمل فى تنفيذ أحكام الله ـ انظر ابن تومرت: أعز ما يطلب: ص ٢٥٤.

(٤) عيد على علام: الدولة الموحدية بالمـغرب فى عهد عبد المؤمن بن على: ص ٢٩٣ ـ ص ٢٤٠، دار المعارف.

(٥) النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٢ مخطوط ص ٩٨، مطبوع جـ ٢٤ ص ٢٠.

(٦) المراكشى: المعجب: ص ٣٨٣، ابن عذارى: البيان: جـ ٤ قسم ٣ القسم الموحدى: ص ٢٠٥.

اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم وذلك بثياب كحلية وأكمام مفرطة السعة تصل الى قريب من أقدامهم، وبدلاً من العمائم كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم، فشاع هذا الزى فى جميع يهود المغرب، ولم يزالوا كذلك بقية أيامه وصدرا من أيام ابنه عبد الله إلى أن غيره أبو عبد الله المذكور، بعد أن توسلوا إليه بكل وسيلة واستشفعوا بكل ما يظنون أن شفاعته تنفعهم فأمر أبو عبد الله بلبسان ثياب صفر، وعمائم صفر، فهم على هذا إلى وقتنا هذا ـ وهو سنة ٦٢١ هـ[١] وتطبيقًا لهذه السياسة فإن كثيرين من اليهود والنصارى غادروا البلاد فرارًا بحياتهم[٢] فهاجر كثير من اليهود إلى صقلية والمشرق[٣].

وإذا نظرنا للدوافع التى دفعت المرابطين أيضًا لمثل هذا الموقف من أهل الذمة الذين وقفوا إلى جانب نصارى الشمال فى موقعة الزلاقة وحملة ابن رذمير[٤] ثم نجدهم فى العصر الموحدى يساعدون نصارى أسبانيا فيتجسسون على المسلمين لحساب ملوك النصارى، وكثيرًا ما أغروهم بحرب المسلمين وغزوهم، ومن هؤلاء نصارى قرطبة الذين هيأوا لالفونسو السابع ـ ملك قشتالة ـ احتلال قرطبة سنة ٥٤٠ هـ / واحتلال قلعة رياح سنة ٥٤١ هـ واحتلال ميناء المرية الإسلامى ٥٤١ هـ وذلك قبل أن يتمكن الموحدون من فتح الأندلس، أما اليهود فقد تآمروا مع ابن همشك على الموحدين وفتحوا له باب الربض

(١) المراكشى: المصدر السابق: نفس الصفحة: المعجب: ص ٣٨٣.

(٢) محمد بحر عبد المجيد: اليهود فى الأندلس: ص ٨٨، المكتبة الثقافية، عدد ٢٣٧، سنة ١٩٧٠م، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب، والأندلس: ص ٣٦٨ وفى ذلك يقول القفطى: «ولما نادى عبد المؤمن بن على الكومى البربرى المستولى على المغرب فى البلاد التى ملكها بإخراج اليهود والنصارى منها وقدر لهم مدة وشرط لمن أسلم منهم بموضعه على أسباب ارتزاقه للمسلمين وعليه ومن بقى على راى أهل ملته فإما أن يخرج قبل الأجل الذى أجله وإما أن يكون بعد الأجل فى حكم السلطان مستهلك النفس والمال، ولما استقر هذا الأمر خرج المخفون وبقى من ثقل ظهره وشح بأهله وماله وأظهر الإسلام وأسر الكفر» القفطى (جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى الأشرف يوسف): أخبار العلماء بأخبار الحكماء: جـ ١ سنة ١٣٢٦هـ، مصر ص ٢٠٩

(3) Goitein, Studies in Islamic History, P. 311.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٧ ـ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ ـ ص ٩١.

بغرناطة ليلاً، فدخل ابن همشك مدينة غرناطة ليلاً وفتك بكثير من الموحدين واشتد فى تعذيب المحاصرين[١].

نضيف إلى ذلك أن الموحدين ظهروا فى فترة كانت الحرب طاحنة بين الصليبيين والمسلمين وهى فترة الحروب الصليبية فنرى الرحالة ابن جبير يشيد بالإسلام عند الموحدين فيقول: «وليتحقق المتحقق، ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلاّ ببلاد المغرب لأنهم ـ أى المغاربة ـ على جادة واحدة كما أنه لا عدل، ولا حق ولا دين على وجه إلاّ عند الموحدين»[٢].

أما عن موقف الأندلسيين تجاه أهل الذمة فإنا نجد أن كتب الحسبة قد حددت تلك العلاقة فيذكر ابن عبدون أنه «يجب أن يمنع النساء المسلمات دخول الكنائس المشنوعة فإن القسيسين فسقة[٣]» كما يجب «أن لا يذبح يهودى لمسلم ويؤمر اليهود أن يتخذوا أوضاعًا لأنفسهم»[٤].

ويرى الجرسفى «أن يمنع أهل الذمة من الإشراف على المسلمين فى منازلهم والتكشيف عليهم ومن إظهار الخمر والخنزير فى أسواق المسلمين ومن ركوب الخيل بالسروج والذى بما هو من زى المسلمين»[٥].

كذلك يرى الجرسفى «بأن يمنع أهل الذمة من التزيى بما هو من زى المسلمين أو بما هو أبهى وينصب عليهم علمًا يمتازون به من المسلمين فى حق الرجال والجلل فى حق النساء[٦].

---

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١ وما بعدها «ستطاع ابن دهرى صهر مشرف غرناطة أن يجمع حوله طائفة من اليهود المتظاهرين بالإسلام، وعليه اعتمد ابن همشك فى التآمر على غرناطة، فإن المسيحيين أسهموا بدورهم فى محاولة الإجهاز على ظهور الموحدين، انظر المصد. السابق: نفس هامش ٥.

(٢) ابن جبير (أبو الحسن محمد): رحلة ابن جبير، القاهرة، سنة ١٩٥٥ م ص ٤٩.

(٣) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٨.

(٤) ابن عبدون: نفس المصدر، ص ٤٩ (٤) الجرسفى: ثلاث رسائل: ص ١٢٢.

(٥) الجرسفى: ثلاث رسائل: ص ١٢٢.

(٦) الجرسفى: نفس المصدر والصفحة.

كذلك يرى الجرسفى التشدد مع المسلمين الذين يقومون بخدمة أهل الذمة فقال «ويمنع المسلمين أن يحاولوا لهم كل ما فيه خساسة أو إذلال للمسلمين كطرح الكناسة ونقل آلات الخمر ورعاية الخنزير وشبه ذلك لما فيه من علو الكفر على الإسلام ويؤدب من فعل ذلك[١]».

كذلك يرى ابن عبدون «بضرورة قطع ضرب النواقيس فى بلاد الإسلام ومنع الأطباء اليهود والنصارى من معالجة المسلمين وضرورة مراقبة الكتب التى يبيعها اليهود والنصارى للمسلمين ما عدا كتب أهل ملتهم وضرورة حمل القسيسين على الزواج»[٢] ونستخلص مما سبق أن أهل الذمة من النصارى واليهود عاشوا فى ظل دولتى المرابطين والموحدين، وأنهم واجهوا تشددًا نتيجة الظروف والأحداث التى مرت بها البلاد وموقف أهل الذمة من المسلمين.

(١) الجرسفى: نفس المصدر والصفحة.

(٢) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٥٥ ـ ص ٥٧.

فئات المجتمع الغرناطى فى عصر المرابطين والموحدين

الفقهاء والشعراء وأهل العلم

احتل الفقهاء مكانة رفيعة فى المجتمع الأندلسى فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين فالدولة المرابطية قامت على دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية[١]، كما قامت الدولة الموحدية على أكتاف داعية دينى هو المهدى بن تومرت، الذى احتلت تعاليمه الدينية ركنًا هامًا فى حياة الموحدين[٢].

(١) عبد الله بن ياسين كان من تلاميذ واكاك بن زلو اللمطى حتى مر به يحيى الجدالى الذى طلب من واكاك أن يرسل معه فقيهًا ليعلم قومه العلم فأرسل معه عبد الله بن ياسين وكان موصوفًا بالعلم فسار واستقر فى بلاد الصحراء، وأخذ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى استقامت للمرابطين بلاد الصحراء وما وراءها من بلاد المصامدة والقبلة، ثم خرج بالناس لجهاد برغواطة فغزاهم فى عهد أبى بكر بن عمر فقاتلهم حتى استشهد أثناء ذلك سنة ٤٥٠ هـ، انظر القاضى عياض، ترتيب المدارك، دار الحياة، بيروت، جـ ٤ ص ٧٨، عن دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٢٦، ص١٢٧، ص ١٢٨، ص ١٢٩ وما بعدها، ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم ٣ ص ٢٢٨، السلاوى: الاستقصاء : جـ ٢ ص ٧ وما بعدها، ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ١٨١، العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان: جـ ١ ص ٢٣٢ (مخطوط).

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدى مؤسس دولة الموحدين وهو من جبل السوس الأقصى ببلاد المغرب، نشأ هناك ورحل إلى المشرق طالبًا للعلم فزار هناك العراق كما حج بيت الله الحرام وأقام بمكة وقتًا من الزمن درس فيها الحديث وأصول الفقه والدين، بدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مكة ثم رحل عنها إلى مصر فطرد منها وتوجه إلى المهدية ووصلها سنة ٥٠٥ هـ ومن المهدية انتقل إلى بجاية وهو ملتزم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم أخرج منها إلى ملالة ـ قرية قريبة من بجاية ـ وهناك التقى بعبد المؤمن بن على ومنها خرج مع بعض أصحابه إلى مراكش وفى مراكش جرت له مع فقهائها مناظرات فقهية ثم اضطر إلى الهروب من مراكش إلى أغمات ومنها إلى تينمل من بلاد السوس ومن هذه البلدة بدأت حركته تتخذ طابعا عسكريا، توفى فى تينمل سنة ٥٢٤ هـ ودفن فيها، ابن خلكان: وفيات الأعيان: جـ ٥ ص ٤٥٦، عن ظهور الموحدين انظر ابن القطان: نظم الجمان: ص ١١١، عن ابن تومرت ودعوته الإصلاحية، انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٤٦ ـ ص ٢٥٥، النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٢٧٧ ـ ص ٢٨٩، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ٨٨، المراكشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية: ص ٢، ص ٣.

من هنا كانت الشريعة هى القاعدة الأساسية التى ترتكز عليها الدولة فى سياستها وبالتالى فإن القائمين على شئون الدين والمشتغلين بعلومه احتلوا مكانة مرموقة فى المجتمع[١] سواء فى المغرب أو الأندلس، وأصبحوا يؤثرون فى الأحداث السياسية التى تمر بها البلاد، ففقهاء الأندلس هم الذين شرحوا أحوال الأندلس ليوسف بن تاشفين وضرورة الاستيلاء على الأندلس[٢] يقول الحميرى «وكان يوسف لا تزال تفد عليه وفود ثغور الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله وبالإسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيستمع إليهم ويصغى لقولهم وترق نفسه لهم[٣]، يقول الأمير عبد الله وهو معاصر للأحداث «وجعلوا ـ يقصد أهل الأندلس ـ فى شكاويهم فقهاءهم وسائط يقصدون نحوهم، منهم: الفقيه ابن القليعى قد صار خباؤه بتلك المحلة مغنطيسًا لكل صادر وارد يجد السبيل إلى الطلب للقدر الذى قدره الله»[٤].

وعندما استدعى النصارى المعاهدة فى غرناطة ابن رذمير للاستيلاء عليها أفتى الفقهاء وعلى رأسهم أبو الوليد بن رشد بتغريب هؤلاء النصارى حتى يأمن شرهم[٥] فاحتل الفقهاء مكانة رفيعة فى المجتمع وسما قدرهم وعلت منزلتهم وحظوا بالتقدير والتكريم من جانب أمراء المرابطين «وكان ـ أى يوسف بن تاشفين ـ محبًا للفقهاء والعلماء والصلحاء مقربًا لهم صادرًا عن رأيهم متكرمًا لهم، أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طوال حياته»[٦].

وفى عهد الأمير على بن يوسف زادت منزلة الفقهاء والعلماء فى الدولة «واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمرًا فى جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء»[٧] ويذكر حسن محمود[٨] أن الفقهاء زادت مكانتهم فى الأندلس خاصة بعد قدوم المرابطين إليها

(١) المراكشى: المعجب: ص ٢٦٩.
(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: جـ ١٠ ص ١٥١ ـ ١٥٢.
(٣) الحميرى: الروض المعطار: ص ٨٦.
(٤) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ١٠٩.
(٥) مجهول: الحلل الواشية: ص ٩٠ ـ ص ٩١.
(٦) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٣٧، ابن المؤقت: السعادة الأبدية: جـ ٢ ص ٨٩، ابن القاضى: جزوة الاقتباس: ص ٣٤٣، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ٥٥.
(٧) المراكشى: المعجب ص ٢٣٥.
(٨) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٤١٤.

وأصبحت فئة الفقهاء مرهوبة الجانب مسموعة الكلمة وقد سما قدر القضاة وتمتعوا بسلطان عظيم حين أتاح لهم ولاة الأمر السلطة المطلقة والحكم النافذ الذى لا يرد، فقد وقف القاضى ابن الفراء[١] قاضى المرية فى وجه يوسف بن تاشفين حين طلب منه المعونة على أهل المرية[٢]، يقول السلاوى «إن أمير المسلمين ـ يوسف بن تاشفين ـ طلب من أهل البلاد المغربية والأندلسية المعاونة بشىء من المال على ما هو بصدده من الجهاد وأنه كتب إلى قاضى المرية أبى عبد الله محمد بن يحيى ـ عرف بابن الفراء ـ يأمره بفرض معونة المرية، ويرسل بها إليه، فامتنع محمد بن يحيى من فرضها وكتب إليه يخبره بانه لا يجوز ذلك فأجابه أمير المسلمين «بأن القضاة عندى والفقهاء قد أباحوا فرضها، وأن عمر بن الخطاب ﷺ فرضها فى زمانه» فراجعه القاضى عن ذلك بكتاب يقول فيه: «الحمد لله الذى إليه مآبنا، وعليه حسابنا، وبعد، فقد بلغنى ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخر عن ذلك، وأن أبا الوليد الباجى وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والأندلس أفتوه بأن عمر بن الخطاب ﷺ اقتضاها، فالقضاة والفقهاء إلى النار دون زبانية، فإن عمر اقتضاها فقد كان صاحب رسول الله ﷺ ووزيره وضجيعه فى قبره ولا يشك فى عدله وليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله ﷺ ولا بوزيره ولا بضجيعه فى قبره، ولا ممن لا يشك فى عدله، فإن كان القضاة والفقهاء أنزلوك منزلة فى العدل فالله تعالى سائلهم وحسيبهم عن تقلدهم فيك، وما اقتضاها عمر ﷺ حتى دخل مسجد رسول الله ﷺ وحضر من كان معه من الصحابة ﷺ، وحلف أن ليس عنده فى بيت مال المسلمين درهم واحد ينفقه عليهم، فليدخل أمير المسلمين المسجد الجامع بحضرة من هناك من أهل العلم، وليحلف أنه ليس عنده فى بيت مال المسلمين درهم ينفقه عليهم، حينئذ تجب معونته، والله تعالى على ذلك والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته»[٣].

---

(١) هو أبو عبد الله بن الفراء من فضلاء العصر فى الأندلس، وكان شاعرًا مجيدًا وهو من فضلاء المائة السادسة وكان يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة، وكانت فيه فطنة ولوذعية وذكاء والمعية ذكره ابن غالب فى فرحة الأنفس وذكره صفوان فى زاد المسافر ووصفه ابن الخطيب، انظر المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٨٦.

(٢) السلاوى: الاستقصاء: جـ ٢ ص ٥٤، المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٣٨٦ ـ ص ٣٨٧.

(٣) السلاوى: المصدر السابق: جـ ١ ص ٥٣، ص ٥٤.

وفى عهد الموحدين تمتع الفقهاء والعلماء بمنزلة سامية، فالدولة الموحدية قامت على أساس دعوة ابن تومرت الدينية كما سبق أن ذكرت ومن ثم كانت للفقهاء والعلماء بالإضافة إلى طلبة الموحدين مكانة مرموقة فى ظل الدولة الموحدية، فكان الخلفاء الموحدون يكرمون العلماء والفقهاء ويقدرونهم[١]، فالخليفة عبد المؤمن كان يقدر العلماء وينزلهم منازلهم اللائقة بهم[٢]، يقول المراكشى «وكان عبد المؤمن مؤثرًا لأهل العلم محبًا لهم، محسنا إليهم يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته، ويجرى عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم[٣]، وكان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، حريصًا على مجالسة الفقهاء ومحادثتهم[٤]، فاجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله[٥].

كذلك نال الفقهاء والعلماء منزلة كريمة فى عهد الخليفة المنصور الموحدى، يقول ابن أبى زرع «وكان ـ أى المنصور ـ محبًا فى العلماء وقضاتهم صادرًا عن رأيهم... يشهد جنائز الفقهاء والعلماء ويزورهم ويتبرك بهم... وأكرم الفقهاء وراعى العلماء والفضلاء وأجرى على أكثرهم الإنفاق من بيت المال[٦].

وهكذا نال الفقهاء والعلماء منزلة كبيرة فى ظل دولتى المرابطين والموحدين وامتلكوا الإقطاعات والأراضى الزراعية خاصة فى المدن الأندلسية ومن أشهر الأسر التى اشتغل أفرادها بالفقه والعلم والقضاء ونالوا شهرة عظيمة وامتلكوا الإقطاعات الواسعة واتسعت

---

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ٢٠٤، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ـ ص ١٣٠.

(٢) ابن أبى زرع: المصدر السابق: نفس الصفحة، ابن أبى زرع: «وكان ـ ابن عبد المؤمن بن على ـ سخيا كريم الأخلاق محبا فى أهل العلم والأدب مقربا لهم مشوقا لوفادتهم منفقا لبضاعتهم» ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص٢٠٤، عنان: عصر المرابطين والموحدين: القسم الأول، ص٤٠٢.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٢٦٩.

(٤) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ٢٠٨.

(٥) المراكشى: المصدر السابق: ص ٣١١.

(٦) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ٢٠٨.

مكاسبهم أسرة ابن أرسالية فى غرناطة[١] وبنو حسون فى مالقة[٢] وبنو الحسن فى مالقة أيضا[٣].

وكان إذا تولى أحد الفقهاء قضاء موضع أصبحت له الأموال العريضة[٤]، وقد جمع بعض الفقهاء بين خطتى القضاء والإدارة المالية، يقول ابن عذارى فى حديثه عن ابن أبى زهر وعلى بن يوسف قبل نكبته «أنه كان يولى من قبله حاكمًا يحكم من حاشيته، وصاحب المدينة من توليته، وشهود البلد بحكمه، وأمر المستخلص وأملاك السلطان جارية على نهيه وأمره بمدينة أشبيلية[٥] ونتيجة لما وصل إليه الفقهاء والعلماء من منزلة وسيطرتهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية أيضا ـ حقد الناس عليهم من هؤلاء الشاعر ابن البنى[٦] حيث هجاهم بقوله:

أهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب يدلج فى العاتم[٧]

ومن أشهر الفقهاء والعلماء الذين نالوا حظوة فى دولتى المرابطين والموحدين من أهل غرناطة، الفقيه أبو القاسم أحمد عمر بن يوسف بن ورد التميمى من أهل المرية وكان متمكنًا فى الأدب أيضًا وكذلك النحو وعلم التاريخ، كما كان متقنًا للتفسير وعلم الأصول،

(١) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة: جـ ٢ ص ٥٧٧، ابن الخطيب: أعمال الاعلام: طبعة ليفى بروفنسال، ص ٢٥٥.

(٢) ابن الأبار: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٤٢١.

(٣) النباهى: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا: ص ١١٤، طبعة ١٩٤٨ م.

(٤) انظر أمثلة لذلك فى ابن سعيد: جـ ٢ ص ٧٢.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٦٥.

(٦) هو أبو جعفر أحمد بن محمد المشهور بابن البنى من أهل جيان من جزيرة الأندلس وقد ذكره الفتح بن خاقان فى القلائد حيث وصفه بالإلحاد والزندقة: انظر ابن خاقان: قلائد العقيان: ص ٣٤٣ وكان العامة والخاصة من الناس تبتعد عن هؤلاء الفقهاء لما يثيرونه من مشاكل وتدخل فى أمورهم فها هو أبو بكر بن قزمان إمام الزجل فى الأندلس فى عصر المرابطين يذكر فى زجله أن من مزايا المسكن الذى يسكن فيه أنه لا يوجد فى هذا الحى مضايقات «فليس فيه فقهاء ولا حجاج وفيه أرامل جميلات، انظر الزجل» رقم ٨٧ ديوان ابن قزمان، ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٣٨٢، وأيضًا عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس، ص ٧.

(٧) المراكشى: المعجب: ص ٢٣٥، المقرى: نفح الطيب: جـ:

أهل الرباء لبستم ناموسكم كالذئب يدلج فى العاتم.

انتهت إليه رياسة الفقه المالكى، تولى القضاء فى غرناطة فظهرت كفايته وعدله وحسن سيرته، توفى بالمرية فى رمضان سنة (٥٤٠ هـ / ١٤٤٦ م[١]) وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعافرى، وكان من الفقهاء والوزراء كما كان متمكنًا من الفقه والحديث، بارعًا فى الأدب ولى مستخلص غرناطة وأشبيلية أيام الأمير على بن يوسف فقام على إدارتها بكفاية وحزم، توفى سنة ٥٩٨ هـ (١١٢٤ م)[٢] ومنهم الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربى، من أهل غرناطة، برع فى علوم القرآن والسنة وكان فقيهًا متبحرًا وأديبًا واسع المعرفة، متقدمًا فى فنون عديدة، وتولى القضاء بغرناطة والمرية وألف فى التفسير واشتهر بالمغرب والأندلس وألف كتابًا فى الأنساب وانتهى الينا من مؤلفاته «معجم شيوخه» وتوفى بلورقة سنة ٥٤٢ هـ / ١٩٤٧ م[٣] وكان فوق ذلك أديبا ينظم الشعر.

وأحمد بن حسن بن سيد الجراوى من أهل مالقة ويعرف بابن سيد، درس الحديث واللغة والأدب على أقطاب عصره وكان بارعًا فى اللغة وفى النحو وله حظ فى قرض الشعر، توفى ابن سيد سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م[٤].

ومن الفقهاء والمتكلمين أيضًا، صالح بن أبى صالح خلف بن عامر الأنصارى الأوسى من أهل مالقة، درس بها على أعلام عصره ثم رحل إلى تلمسان ثم إلى تونس، والمهدية وأخذ عن أقطابها سماعًا وإجازة، وكان فقيهًا متمكنًا من علم الكلام، توفى فى رمضان سنة ٥٨٦ هـ[٥].

ومحمد بن إبراهيم بن خلف بن أحمد الأنصارى من أهل مالقة أيضًا كان إمامًا فى الحديث، مقدمًا فيه، وبرع فى المعرفة بسرد المتون والأسانيد، وتميز الرجال، سمع من أبى بكر بن العربى وأكثر عنه واختص به، وعن أبى مروان بن بونه وغيرهم وكانت له فوق ذلك مشاركة فى اللغة، شديد التمسك بالعدل، مكرمًا لطلاب العلم، واستدعى فى أواخر

(١) انظر ترجمة فى الإحاطة (ابن الخطيب): جـ ١ ص ١٦٩ ـ ص ١٧١.
(٢) ابن بشكوال: الصلة ترجمة رقم ٦٤٩.
(٣) الضبى: بغية الملتمس (الملكية الأندلسية) ترجمة رقم ١١٠٣.
(٤) ابن الأبار: التكملة: طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦، ضمن المكتبة الأندلسية ترجمة رقم ١٨٢.
(٥) ابن الأبار: التكملة ترجمة رقم ١٨٨٧.

أيامه من الخليفة يعقوب المنصور إلى مراكش ليسمع بها فقصد إليها، ولكنه توفى بها بعد قليل فى شعبان سنة ٥٩٠ هـ ومولده بمالقة سنة ٥١١ هـ[١].

ومحمد بن أبى خالد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن. . . ابن محمد بن أبى رمنين من أهل غرناطة كان من ألمع فقهاء عصره وأخذ عن أبى مروان بن قزمان وأبى القاسم بن بشكوال، وغيرهم من أقطاب عصره، ولى قضاء غرناطة ثم قضاء مالقة وكان عارفًا بتاريخ من نزل بالأندلس قديمًا من العرب، حدث عنه جماعة ممن كانت لهم مكانة رفيعة فيما بعد، ومنهم أبو سليمان بن حوط الله وأبو القاسم الملاحى، وأبو الربيع بن سالم وغيرهم توفى مصروفًا عن القضاء فى شهر ربيع سنة ٦٠٢ هـ وكان مولده بغرناطة سنة ٥٣٣ هـ[٢].

هكذ أصبح الفقهاء طبقة تسيطر على مقاليد الأمور فى الدولة، وصاروا يتدخلون فى كل شئونها حتى أن بعضهم قاموا بالثورات فى وجه الموابطين لما أحسوا بعجز الدولة عن حماية الأندلس محاولين بذلك الاستقلال عن المرابطين، ومن أشهر هذه الثورات:

ثورة ابن أضحى بغرناطة

قامت هذه الثورة فى نفس الوقت الذى اشتعلت فيه الثورات ضد حكم المرابطين فى الأندلس وقد أشعل نيران هذه الثورة قاضى غرناطة أبو الحسن على بن عمر بن أضحى[٣]، ولكن المرابطين استطاعوا إخماد الثورة واستعادوا سيطرتهم على غرناطة[٤].

هذا وبالإضافة إلى الفقهاء والعلماء استخدم المرابطون والموحدون الكتاب الأندلسيين وقربوهم إليهم ونبغ فى تلك الفترة عدد من الكتاب والشعراء والأطباء وعلماء النبات والرياضة من أهل غرناطة نالوا مكانة رفيعة فى المجتمع حيث قربهم أمراء المرابطين وخلفاء الموحدين، ومن هؤلاء ابن الصيرفى يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الصيرفى، وكان من أعلام العصر المرابطى فى البلاغة والأدب

---

(١) ابن الأبار: التكملة ترجمة رقم ٥٩٦.

(٢) ابن الأبار: التكملة ١٥٣٠.

(٣) ولد ابن أضحى فى مدينة المرية ٤٩٢ هـ وولى فيها القضاء بعد قاضيها ابن الفراء، انظر ابن الأبار: جـ ٢ ص ٢١١.

(٤) انظر تفاصيل هذه الثورة فى ابن الأبار: الحلة السيراء: جـ ٢ ص ٢١١ ـ ص ٢١٤.

والتاريخ وكـان من الشعراء المطبـوعين كتب بغـرناطة للأمير تاشـفين بن على، وتوفى فى غرناطة سنة ٥٧٠ هـ[١].

وعلى بن عبد العزيز بن الإمام الأنصارى، سرقسطى الأصل سكن غرناطة وعاش بها، وكان من أهل البلاغة والفصاحة وزر للأمير أبى طاهر ثم ابن يوسف أيام ولايته لغرناطة ثم كتب من بعده لأخيه الأمير على بن يوسف[٢].

ومن هؤلاء أيضًا أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد، من بنى سـعيـد العنسى سـادة قلعة يحـصب من أعـمال غـرناطة، وهو بيت من بيـوتات الأندلس المشهورة، وينتمى إليه قواد ووزراء وقضاة وكتاب وشعراء ومنهم مؤلفو كتاب «المُغرب فى حلى المغرب» وشغف أبو جعفر بالأدب والشعر منذ ضغـره فحفظ كثيرًا من شعراء القدماء ومدح الخليفـة عبد المؤمن بن على وهو بجـبل طارق سنة (٥٥٦ هـ / ١١٦١ م) وكانت هذه القصيدة بداية مجده الحقيقى، وعندما تولى غرناطة السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن بن على، استـوزر أبا جعفر وحـظى لديه ثم ساء ما بينهـما بسبب تنافـسهما فى حب الشـاعرة الغرناطيـة الحسناء حفصة بنت الـحاج الركونى[٣]، وأخذ السيـد أبو سعيد يتـرقب الفرص لنكبته، وأبـو جعفر يتحـفظ كل التحفظ، وانتهى الأمـر بأبى جعفر إلى أن عـمل مع أخيه وبعض أقاربه على الانضمام إلى ابن مردنيش ولحق أخوه وأقاربه بقلعتهم فى بنى يحصب، ولكنه جبن وتأخر ثم فر إلى مالقة ليركب منها البحر إلى بلـنسية ولكن عمال السيد اكتشفوا أمـره وقـبـضـوا عليـه، فـأمر بقـتلـه صبـرًا وكـان مـصـرعـه فى جـمـادى الأولى سنة (٥٥٩هـ/ ١١٦٤م)[٤].

أما أبو بكر بن قزمـان أمير الزجل الأندلسى[٥] فيـقول عنه ابن سعيـد إنه كان فى أول

(١) ابن الخطيب: الإحاطة مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤١٥، ابن سـعيد: المغرب: جـ ١ ص ١١٨ ـ ص ١١٩، ترجم له ابن الأبار فى التكملة ص ٧٢٣.

(٢) ابن الخطيب: نفس المخطوط لوحة ٣٣١.

(٣) ابن سعـيد: المغـرب فى حلى المغـرب: جـ ١ ص ١٣٨ ـ ص ١٣٩، ترجم لها ابن دحـية فى المـغرب ص ١٠ وياقـوت: معـجم الأدباء جـ ١٠ ص ٢١٩، المقـرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٤٩١ ـ ص ٤٩٤، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٢١٤ ـ ص ٢١٨.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٢١٤ ـ ص ٢١٨.

(٥) ابن سعيد: المغرب: جـ٢ ص ١٠٠، ص ١٦٧ «الأهداب».

شأنه مشتغلاً بالنظم المعرب، فرأى نفسه تقصر عن أفراد عصره، كابن خفاجة وغيره فعمد إلى طريقة لا يضارعه فيها أحد منهم، فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس[١].

خدم ابن قزمان فى شبابه المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس ونال لديه حظوة وجاها فلما انتهت دولتهم، عاد إلى قرطبة وتردد بينها وبين غرناطة، توفى سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م[٢].

وقد كان الشعراء يتفاوتون فى وضعهم الاجتماعى تفاوتا يجعلهم على وجه التقريب فى ثلاث طبقات، طبقة الشعراء الذين بلغوا أعلى المناصب[٣] مثل أبى جعفر أحمد بن عبد الملك سعيد من أمراء قلعة يحصب فى غرناطة[٤] وشعراء منتمون، أى يلزم الواحد منهم بلاط أحد الأمراء وينتمى إليه، ويأخذ منه رسمًا شهريًا (أو سنويًا) مقررا، أو جوائز غير موقوتة بوقت[٥]، وشعراء جوالون وهم الذين يطرفون على الأمراء مادحين متكسبين بأشعارهم وهم أكثر عددًا من الطبقتين السابقتين[٦].

وفى عصر المرابطين تراجعت منزلة الشاعر الاقتصادية والاجتماعية حيث لم يستطيع أن ينافس رجل السيف من الملثم والفقية والكاتب فأبعد الفقه الأدب حيث أصبحت الكلمة العليا للفقهاء[٧].

وفى ذلك العصر نجد ابن قزمان يعبر فى أزجاله عن مطالبه من قمح وشعير وخروف العيد[٨].

(١) ابن سعيد: المصدر السابق: جـ ٢ نفس الصفحات، انظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٨٣.

(٢) راجع فى ترجمة ابن قزمان: قلائد العقيان: ص ١٨٧، طبعة القاهرة، ١٢٨٣ هـ، انظر عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٦٦ وما بعدها.

(٣) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين: ص ٨٢.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٢١٤ ـ ص ٢١٨.

(٥) إحسان عباس: نفس المصدر: ص ٨٢.

(٦) إحسان عباس: نفس المصدر: ص ٨٣.

(٧) انظر إحسان عباس: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٨) انظر: عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس، ص ٦٦ وما بعدها، إحسان عباس: المصدر السابق: ص٢٦٨، سيأتى الحديث عن ابن قزمان فى الحديث عن الحياة الاجتماعية لطبقة الخاصة.

رجال الدولة:

القادة والأمراء

تناولت فى الباب الأول كيف أن القيادة السياسية انحصرت فى يوسف بن تاشفين وبنيه من بعده، كذلك انحصرت تلك القيادة فى عصر الدولة الموحدية فى عبد المؤمن بن على وبنيه من بعده، ومن هنا أصبحت الأسرتان تتمتعان بالنفوذ والسياسة فى بلاد المغرب والأندلس.

وأصبحت قبيلة لمتونة تتمتع بمكانة مرموقة بين قبائل البربر لأن الطبقة الحاكمة تنتمى إلى هذه القبيلة، بالإضافة إلى قبيلة صنهاجة ومنهم جدالة ومسوفة ولمطة وقد أشار إلى ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله «وبعث ـ أى يوسف بن تاشفين ـ سنة ٤٧٠ هـ إلى صحراء لمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم يعلمهم بما فتح الله عليهم من ملك المغرب وطاعة أهله ويؤكد عليهم فى القدوم إليه فوفد منهم جموع كثيرة ولاهم الأعمال، وصرف أعيانهم فى مهمات الأشغال فاكتسبوا الأموال وملكوا رقاب الرجال وكثروا بكل مكان وساعدهم الوقت والزمان وكثرت جموعهم وتوفرت عساكرهم»[١] هذا وقد تمتع أبناء أسرة يوسف بن تاشفين وبنيه بوضع السيادة فى المدن المغربية والأندلسية على حد السواء، يقول ابن خلدون: «ثم اقتسم ـ أى يوسف بن تاشفين ـ المغرب عمالات على بنيه وأمراء قومه وذويه»[٢].

فكان ينوب فى أغلب الأحيان عن أمير المسلمين فى الأندلس أمير من الأسرة المالكة أو من لمتونة عامة، فقد تولى حكم غرناطة من الأسرة الحاكمة تميم بن يوسف بن تاشفين وتاشفين بن على بن يوسف وسير بن الحاج[٣] وعبد الله بن مزدلى[٤].

---

(١) مجهول: الحلل الموشية: ص ٣٣.

(٢) ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ١٨٥.

(٣) مجهول: نبذة تاريخية فى أخبار البربر: ص ٨٢، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٤٨، ص ٤٩، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ٤٨.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٥٦.

واتبع الموحدون نفس السياسة حيث استأثر بنو عبد المؤمن بالخلافة وشغل بعض أفراد الأسرة منصب الوزارة[١].

وقد بلغت قبيلة كومية ـ وهى القبيلة التى ينتسب إليها الخليفة عبد المؤمن بن على ـ مكانة عظيمة وأصبحت من أعظم قبائل الموحدين واحتلت مكان الصدارة فى بلاد المغرب والأندلس، يقول المراكشى «ثم قبيلة عبد المؤمن تسمى كومية وهى قبيلة كبيرة وهى قبيلة كثيرة العدد جمة الشعوب لم يكن لها فى قديم الدهر ولا فى حديثه ذكر فى رياسة ولا حظ من نباهة، إنما كانوا أصحاب فلاحة ورعاة غنم وأصحاب أسواق يبيعون فيها اللبن والحطب وسوى ذلك من سقط المتاع فتبارك المعز المذل المعطى المانع، فأصبح القوم وليس فوقهم أحد ببلاد المغرب ولا تطاول أيديهم يد يكون عبد المؤمن منهم»[٢] هذا وقد تولى حكم غرناطة عدد من أبناء وأقارب الخليفة[٣].

يقول المراكشى: «وأقام عبد المؤمن بجبل الفتح مرتبًا للأمور ممهدًا للملكة، وأعيان البلاد يفدون عليه كل يوم، إلى أن تم له ما أراد من إصلاح ما استولى عليه من جزيره الأندلس»

فولى مدينة أشبيلية وأعمالها ابنه يوسف، وهو الذى ولى الأمور بعده، وترك معه بها أشياخ الموحدين وذوى الرأى والتحصيل منهم من يرجع إليه فى أموره، ويعول عليه فيما ينويه.

وولى قرطبة وأعمالها أبو حفص عمر إينتى، وولى غرناطة وأعمالها ابنه عثمان بن عبد المؤمن، يكنى أبا سعيد، وكان من نبهاء أولاده ونجبائهم وذوى الصرامة منهم، وكان محبًا فى الأدب، مؤثرًا لأهله، يهتز للشعر ويثيب عليه، اجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان الكتاب عصابة ما علمتها اجتمعت لملك منهم بعده»[٤].

---

(١) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس: ص ٣٣٠، اتخذ عبد المؤمن بن على ابنه عمر وزيرا له، انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٦٧.

(٢) المراكشى: المعجب: ص ٤٢٣.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٤٢٣.

(٤) المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣.

ومع اتساع رقعة الدولة المرابطية والموحدية وزيادة مواردها بدأ الأمراء والسادة ينفقون عن سعة فيذكر الدكتور حسن محمود أن هؤلاء الأمراء والسادة قد اندمجوا فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس، هذه الحياة التى كانت قد بلغت شأنًا عظيمًا من الرقى والأبهة فى أواخر أيام ملوك الطوائف، وتألق نجم الحضارة فى الأندلس بصورة لم تكن معهودة من قبل، فتفوق أهل الأندلس فى الأدب والفن والفلسفة، فلما فتحت بلاد الأندلس التقت حضارتان أو لونان من ألوان الحياة الاجتماعية: لون أندلسى رفيع ولون مغربى صحراوى أقل رقيًا وتفوقًا وكان منطق الأشياء يقضى بزن تتغلب الحياة الأكثر رقيًا فتصرع الحياة الأكثر ضعفًا، وهذا هو ما حدث، فقد صارعت الحياة الأندلسية الرفيعة هذه الحياة الاجتماعية المغربية فتغلبت عليها وأثرت فيها، فقد استطاع الجيل الأول من هؤلاء الأمراء أمثال يوسف بن تاشفين وسير بن أبى بكر وعبد الله بن عائشة أن يقاوموا هذا التيار الجديد الوافد إليهم، ولكن هذه المؤثرات لم تستطع أن تصمد طويلا بعد وفاة يوسف، إذ تغلبت الحياة الأندلسية بمتعها وبهجته ومسراتها، ولم يكن من الممكن أن يقاوم المرابطون هذه المتع طويلا، فقد عاشوا فى ظلها وانغمسوا فى حياتها واضطروا أن يعيشوا كما كان الناس يعيشون فى الأندلس فكانوا يحيون حياة لا تختلف عن الحياة التى كان ملوك الطوائف يحيونها[١]، وفى العصر الموحدى نجد السادة الموحدين يحيون حياة اللهو والترف فها هو السيد أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن صاحب غرناطة يحيا حياة الترف واللهو[٢]، فقد تنافس مع أبى جعفر بن سعيد من أمراء قلعة يحصب على حب الشاعرة الغرناطية حفصة الركونية.[٣]

المرأة الغرناطية

واحتلت المرأة الغرناطية مكانة مرموقة فى المجتمع الغرناطى فى عصر المرابطين والموحدين وصارت لها مشاركة واضحة فى المجتمع، يقول ابن الخطيب «وحريمهم حريم جميل، موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النثر

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤٢١ ـ ص ٤٢٢.

(٢) المقرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٣٨٥.

(٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ١ ص ١٣٨ ـ ص ١٣٩، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٢١٤ ـ ص ٢١٨.

وحقة الحركات ونبل الكلام وحسن المجاورة إلا أن الطول يندر فيهن وقد بلغن من التفنن فى الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنفيس بالذهبيات والديباجيات والتماجن فى أشكال الحلى إلى غاية نسأل الله أن يغض عنهن فيها عين الدهر ويكفكف الخطب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وأن يعامل جميع من بها بستره ولا يسلبهم خفى لطفه بعزته وقدرته»[١].

وهنا نجد أن ابن الخطيب يصف نساء غرناطة وصفًا دقيقًا وهو شديد الإعجاب بهن، لا يكاد يأخذ على أوصافهن إلاّ ميلهن إلى القصر[٢].

ومن النساء اللائى ظهرن فى عصر المرابطين ثم الموحدين من نساء غرناطة نزهون القلاعية[٣] ومن الشواعر اللائى ظهرن فى عهد عبد المؤمن بن على، الأديبة الشاعرة المربية حفصة بنت الحاج الركونية الغرناطية[٤]، وقد مدحت الخليفة عبد المؤمن بن على[٥].

أما المرأة المرابطية فكانت تتمتع بوضع كريم فى القبيلة الصنهاجية لأن المرأة المرابطية كانت تشترك فى مجلس القبيلة وتشارك برأيها فى الأمور الهامة[٦]. فكان المرابطون يستعمون للنساء ويوكلون أمورهم لهن[٧]، فكانوا يسمون الرجل باسم أمه،

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٩.

(٢) حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون: معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٧م ـ ١٣٧٦ هـ ص؟.

(٣) «فزهون القلاعية من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجارى فى المسهب ووصفها بخفة الروح، والانطباع الزائد والحلاوة، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق، وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذاكراتها ومرسلتها» انظر ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ١٢١، وابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٤٢٦.

(٤) «كانت حفصة هذه تشتهر بالحسب والجمال والمال وكانت أستاذة بالإضافة إلى شهرتها الأدبية وقد طال عمرها حتى علمت نساء الخليفة يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن ـ توفيت بمراكش سنة ٥٨٦ هـ، انظر ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ١٣٨، ياقوت: معجم الأدباء: جـ ١٠ ص ٣١٩.

(٥) ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ١٣٨، المقرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ١٧١ ـ ص ١٧٢.

(٦) حسن محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٥٢.

(٧) النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٠، المراكشى: المعجب: ص ٢٤١.

فكان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين وهو أخو أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، وكان من أعظم قادة المرابطين يعرف بابن عائشة[١]، وكذلك عبد الله ابن فاطمة من أبرز قادة المرابطين وهو الذى دخل فى كثير من المعارك بالأندلس وأحرز فيها عدة انتصارات وكان معروفًا بابن فاطمة[٢].

ويبدو أن المرأة كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية فى عصر المرابطين سواء فى بلاد المغرب أو الأندلس حتى أنها كانت تختلط بالرجال فى الأماكن العامة والمناسبات المختلفة مما جعل ابن عبدون ينهى عن ذلك بقوله «لا يترك الشباب أيام العيد يجلسون فيها على الطريق لاعتراض النساء ويجد فى منع ذلك المحتسب والقاضى يجب أن يمنع السلطان أن يجلس على أفنية القبور لمراودة النساء ويتعاهدن بذلك كل يوم مرتين يفعل ذلك المحتسب»[٣].

كما يرى ابن عبد الرءوف «بمنع النساء من الوقوف على أبواب الدور لما فيه من الكشف وعدم الاستتار»[٤] كذلك كانت المرأة المرابطية تتمتع بنفس الحرية فى بلاد المغرب، مما جعل ابن تومرت يستنكر هذا الوضع فى أكثر من مكان[٥]، فعند نزوله بجايه فى عيد الفطر وجد اختلاط الرجال بالنساء فقام للتفريق بينهما بعصاة[٦]، يقول ابن القطان «ثم حضر - أى ابن تومرت - عيدًا فرأى فيه من اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزينين المتكحلين ما لا يحمل فزجروهم وغير ذلك عليهم، فوقعت لأجل ذلك نفرة استطال فيها الشر وسلبت النساء حليها وقام الهرج فسأل العزيز عن سبب ذلك فعرف بأنه لا سبب له إلا الفقيه السوسى»[٧].

وفى عهد الموحدين لم تتمتع المرأة بمثل النفوذ والحرية التى تمتعت بها فى عصر

(١) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٨.
(٢) ابن القطان: المصدر السابق: ص ٨.
(٣) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٢٧.
(٤) ابن عبد الرءوف: ثلاث رسائل: ص ٣١١.
(٥) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس: ص ٣٥٣.
(٦) البيذق: أخبار المهدى: ص ٥٢.
(٧) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٤١.

المرابطين فكان ابن تومرت يمنع اختلاط النساء بالرجال كما سبق أن ذكرت، فقد اتبع الموحدون أحكام الدين بشأن حماية المرأة وصيانتها إلا أن هذا الحد من الحرية لم يمنع الموحدين فى مناسبات مختلفة من إظهار تقديرهم واحترامهم للمرأة[١]، فقد اشتهر المنصور الموحدى بإنصافه للمرأة، يقول ابن خلكان فى صفات المنصور: «ويقف للمرأة والضعيف ويأخذ لهم بالحق»[٢] ونالت المرأة ابتداء من عهد عبد المؤمن بن على قسطًا وافرًا من التعليم مثل الأميرة زينب بنت يوسف بن عبد المؤمن التى درست علوم الدين واللغة، ونبغت فى علم الأصول، وكانت هذه الأميرة، عالمة صائبة الرأى، وقد استطاعت أن تدفع بالمرأة المغربية إلى ميدان العلم والمعرفة[٣].

(١) حسن على حسن: الحضارة فى المغرب والأندلس: ص ٣٥٦.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان: جـ ٦ ص ١٠.

(٣) ابن الأبار: التكملة: ترجمة ٢١٢٢ «من مناقب عبد المؤمن بن على أن جعل التعليم الابتدائى إجباريًا مفروضًا على كل مكلف من الرجال والنساء» ليفى بروفنسال: مجموع رسائل موحدية: ص ١٣١ ـ ص ١٣٧، هذا ولقد أثرت الحروب التى اتصلت فى تاريخ الأندلس بين المسلمين ونصارى أسبانيا ـ وخاصة منذ عصر المرابطين والموحدين وحتى سقوط الأندلس (غرناطة) فى أيدى نصارى أسبانيا ـ على المرأة وحياتها فقد زاد عدد الأرامل فى الأندلس زيادة ملحوظة عن أى قطر من الأقطار الإسلامية الأخرى.
عن تلك الظاهرة انظر ابن سعيد: المغرب: (زجل ابن قزمان) السالف الذكر، ص ٣٨٢، الزجل رقم ٨٧، عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٧٠ ـ ص ٧١ هامش رقم ٢.

الحياة الخاصة لطبقة المترفين والأغنياء

إن ما وصلنا عن حياة طبقة الخاصة من المترفين والأغنياء يصوره لنا أدب هذا العصر الذى نحن بصدد دراسته، فأدب هذه الطبقة كان يصور حياتهم الاجتماعية المترفة تصويراً دقيقًا، فهم يقضون أوقات سهرهم فى لهو وفى مجالس الأنس وشرب الخمر وما يجرى فيها من مجون وخلاعة[١]، فلم يكن لأفراد هذه الطبقة من مشاغل سوى كل ما يرضى الشباب ويمتع مجالس الأدب[٢]، ويذكر ابن سعيد فى كتابه المغرب أنهم كانوا يخرجون إلى كروم العنب والتين فى مالقة يفرحون فيها ويمرحون هناك[٣]، قال ابن سعيد: «دخلت مدينة مالقة وأقمت إقامة أرضت الشباب وأمتعت مجالس الآداب وكان والدى يفضلها ويعجب بها ولا سيما فى أيام فرحهم وخروجهم إلى كروم العنب والتين، ولقد خرجنا إلى كرم أقمنا فيه مدة منفعته، فعددنا ذلك من أيام النعيم»[٤].

هكذا كان هؤلاء المترفون يقضون أوقاتهم، وتصور لنا حياة الأديب أبى جعفر بن سعيد[٥] من أمراء قلعة يحصب فى غرناطة تلك الحياة التى كانت تحياها تلك الطبقة، فنظرة هذا الأديب للحياة تتمثل فى حبه للحياة المترفة الخالية من المسئولية فهى لهو وخمر وملاح وصيد وقنص وقد عبر عن ذلك أكثر من مرة، فحين ثار والده «واستبد بأمر قلعة يحصب حين ثار أهل الأندلس بسبب صولة بنى عبد المؤمن بالملثمين اتخذه وزيرًا، واستنابه فى أموره فلم يصبر على ذلك واستعفى فلم يعفه والده وقال: أفى مثل هذا الوقت الشديد تركن إلى الراحة؟ فكتب إليه»[٦].

---

(١) حكمة الأوس: الأدب الأندلسى فى عصر الموحدين، مكتبة الخانكى، القاهرة.

(٢) ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ٤٢٨.

(٣) المصدر السابق: جـ ١ ص ٤٢٣ ـ ص ٤٢٤.

(٤) المصدر السابق: جـ ١ نفس الصفحات.

(٥) سبق التعريف به، انظر ترجمته فى الإحاطة: جـ ١ ص ٢١٤ ـ ص ٢١٨، ابن سعيد: المصدر السابق: جـ ٢ ص ١٦٤.

(٦) مولاى فى أى وقت أنال فى العيش راحة
إن لم أنلها وعمرى ما إن أنا صباحة =

فلما قرأ الأبيات قال: لا ينفع الله بما لا يكون مركبا فى الطبع مائلة له النفس، ثم وقع على ظهر ورقته: قد تركنا سراح أنسك وألحقنا يومك بأمسك[١]، يقول المقرى.

«ولما رجع إلى عبد المؤمن وبايعه عبد الملك بن سعيد غمره إحسانا وبرا، وولى السيد أبو سعيد غرناطة فطلب كاتبا من أهلها فوصف له فضل أبى جعفر وحسبه وأدبه، فاستكتبه، فطلب منه أن يعفيه، فأبى إلا إن شرب أبو جعفر يوما مع خواصه، وخرج ثانى يوم إلى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد ولما اشتد البرد مالوا إلى خيمة ناطور، وجعلوا يصطادون ويشربون على ما اصطادوا، فحمل أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه ويستطرد بما فى نفسه[٢].

وهكذا كثر فى إنتاجهم الأدبى ما يعبر عن حياة هؤلاء المترفين من الخاصة حياة اللهو والخمر والطرب ومجالس الأنس ومطارحتهم الأشعار فى منتزهات الأندلس من بينها غرناطة، حيث عدد هؤلاء المترفون من الأدباء محاسن غرناطة فها هو ابن سعيد صاحب المغرب يصف وادى مالقة[٣]، وكان أصحاب الجاه الذين يحيون تلك الحياة ويجهرون

= وللملاح عيون تميل ... نحو الملاحة
وكأس رامى ما إن ... تمل منى راحة
فأعفنى وأقلنى ... مما رأيت صلاحه
ما فى الوزارة حظ ... لمن يريد ارتياحه

المقرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ١٧٩.

(١) المقرى: المصدر نفسه: جـ ٤ ص ١٨٠.

(٢) ويوم تجلى الأفق منه بعنبر ... من الغيم لذنا فيه باللهو والقنص
وقد بقيت فينا من الزمس فضلة ... من السكر تغرينا بمنتهب الغرص
ركبنا له صبحًا وليلاً وبعضنا ... أصيلاً وكل إن شدا جلجل رقص
وملنا وقد نلنا من الصيد سؤلنا ... على اللذات والبرد قد قرص
فقل لحريص إنى مقيد ... بخدمته لا يجعل الباز فى القفص

المقرى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ١٨٠ ـ ص ١٨١.

المقرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ١٨٠.

(٣) بوادى رية فإنى عرج فإنى ... رأيت الحسن عنه لا يميل
وهات الخمر صرفاء دون مزج ... بحيث الماء والظل والظليل

ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ٤٤٣.

بشرب الخمر دون حرج أو خوف وكان آخرون منهم يتحرجون من شرب الخمر وإظهار ذلك مثل ابن سيد اللص الذى تحرج الجلوس فى مجلس شراب عند أبى جعفر بن سعيد[١]، وكان بعض السادة الموحدين لا يكتفون بالمجاهرة بشربها فحسب، بل يجبرون من يستحرم ذلك على شربها كالذى حدث للأديب الرحالة محمد بن جبير الذى استدعاه السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن، صاحب غرناطة لأن يكتب كتابًا عنده وهو على شربه، فمد يده إليه بكأس، فأظهر الانقباض وقال: يا سيدى ما شربتها قط، فقال: والله لتشربن منها سبعا، فلما رأى العزيمة شرب سبع كئوس، فملأ له السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك فى حجره[٢] ولم يكتف الشعراء بوصف الخمر وإنما جاوزوا ذلك إلى وصف كئوسها وزجاجتها ومجالس شرابها وامتزج شعرهم هذا بوصف الرياض والمتنزهات فهذا جودى بن جودى يصف لنا لهوه بين الحدائق والأزهار، ثم يصف الخمرة وإبريقها[٣].

وكان أبو الحسن رضى بن رضا المالقى (توفى ٩٥٠ هـ / ١١٩٣ م) ينهمك فى شرب الخمر حتى أنه لا يكاد يصحو منها، وكان يقول «أنى أمحق العمر سكرا»[٤].

كما كان هؤلاء الخاصة يتمتعون بالنزهة بالزوارق فى الأنهار وخاصة أنهار المرية فها

---

(١) المقرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ١٩٢ ـ ص ٢٠٣، انظر ترجمة ابن سيد اللص، المقرى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٢٠٣، انظر ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ٢٥٢، ابن دحية: فى أشعار المغرب: ص ٢٠٠.

(٢) هو صاحب الرحلة المشهورة ولد سنة ٥٤٠ هـ ودرس الفقه والحديث بشاطبة ويقال إنه اضطر وهو يعمل مع عثمان بن عبد المؤمن إلى شرب الخمر فأرمع الحج إلى بيت الله ليكفر عنه خطيئته وقد رحل إلى المشرق مرتين: الأولى سنة ٥٨٧ هـ وهى التى كتب فيها رحلته والثانية سنة ٦١٤ هـ وتقدم فى صناعة القريض وصناعة الكتابة، وحمل عنه شعره فى الزهد وغيره وهو كثير مدون، توفى وهو ابن خمس وسبعين، انظر عنه المقرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٣٨١ وما بعدها، ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ٣٨٤ هامش رقم ١، انظر ترجمة ابن جبير فى ابن الأبار التكملة لكتاب الصلة، ص ٥٩٨ طبعة مصر.

(٣) شربنا وبرد الليل يطول صحبه ... وأردية الشمس المنيرة تنتشر
وقد هفت ورق الحمام بدوحها ... وكف الصبا زهر الحدائق تنتشر
مشعشعة رقت وراقت كأنما ... يصاغ لها من صنعه المزج جوهر
إذا قهقه الإبريق قالوا تكلمت ... كما أنها عن أعين المزج تنظر

ابن سعيد: المصدر السابق: جـ ٢ ص ١١٠.

(٤) ابن سعيد: المصدر السابق: جـ ١ ص ٤٢٦

هو الشاعر أبو الحسين محمد بن سفر يقول فى وصف زوارق الأنهار وهى مملوءة بالفتية يتنزهون فيها ويلعبون[١].

وقد صورت الرسائل الأدبية وخاصة المراسلات الإخوانية جانبًا مهمًا من العلاقات الاجتماعية التى كانت تربط هؤلاء الخاصة بعضهم ببعض، فقد كان هؤلاء الخاصة ذوى الميول المتقاربة تربطهم أواصر المودة والمحبة، فكانوا يدعون بعضهم البعض لمجالس الأنس بأن يرسلوا دعوات أدبية مملوءة بالشعر أو النثر تدعو لمجلس أنس وتحث فيه على المجيء لهذا المجلس وتذكر ما سيتوفر فى تلك الأمسية من مباهج وسرور[٢] أو تشير إلى بعض النوادر التى حدثت فى تلك الأمسيات ومن هذه المراسلات الإخوانية الأدبية قصيدة صنعها بعض الأدباء وكانوا قد اجتمعوا بغرناطة منهم محمد بن غالب الرصافى الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن الكتندى[٣] (توفى ٨٥٤ هـ / ١١٨٨ م) وغيرهما من الفضلاء والرؤساء، فأرادوا يومًا أن يخرجوا «النجد أو لحوز مؤمل» وهما متنزهان من أشرف وأظرف متنزهات غرناطة، ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع فى ظاهر البلد، وكان الرصافى قد أظهر الزهد وترك الخلاعة، فقالوا: «ما لنا غنى عن أبى جعفر بن سعيد، اكتبوا له» فصنعوا له هذه الأبيات، وكتبوها له وجعلوا تحتها أسماءهم[٤] فركبوا إلى جنته وما زالوا بالرصافى إلى أن شرب لما غلب عليه الطرب، فجواب أبى جعفر بن سعيد فى هذه المراسلة يصور لنا واقع هذه الحياة التى كانت تحياها هذه الطبقة فهى حياة مترفة بعيدة عن التقشف والزهد والحرمان[٥].

(١) لو أبصرت عيناك زورق فتية ... يبدى بهم لج السرور مراحه
وقد استداروا تحت ظل شعاره ... كل يمد بكأس راح راحه
ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ٢١٢.

(٢) حكمة الأوسى: الأدب فى عصر الموحدين: ص ١٧٩.

(٣) انظر ترجمة الكتندى فى المغرب: جـ ٢ ص ٢٦٤ وابن الأبار: التكملة: ص ٥٣٥، وأدباء مالقة: ورقة ٢٧.

(٤) بعثنا إلى رب السماحة والمجد ... ومن ماله فى حله الظرف من ند
يسعدنا عند الصبيحة فى غد ... لنسعى إلى الحور المؤمل أو نجد
نسرح منا أنفسا من شجونها ... ثوت فى شجون هن سر من اللحد
المقرى: نفح الطيب، جـ ٣ ص ٥١٣

(٥) المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٥١٣، ص ٥١٤، ص ٥١٥، وما بعدها.

الحياة الاجتماعية لطبقة العامة من أهل غرناطة

عادات أهل غرناطة

يذكر ابن الخطيب فى كتابه اللمحة البدرية وصفًا للعامة من أهل غرناطة وحياتهم الاجتماعية إذ يقول «فأحوال أهل هذا القطر فى الدين وصلاح العقائد أحوال سنية، والأهواء والنحل فيهم معروفة، ومذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية»(١).

«وعادة أهل هذه المدينة (غرناطة) الانتقال إلى حلل العصير أوان إدراكه بما تشتمل عليه دورهم، والبروز إلى الفحوص»(٢).

وكان أهل غرناطة مضرب الأمثال فى النظافة، يبالغون فى العناية بنظافة أبدانهم وثيابهم ويكثرون من الاستحمام، «وفيهم من لا يكون عنده إلا قوت يومه فيطويه صائمًا ويبتاع صابونًا يغسل به ثيابه»(٣) وهم أهل تدبير واحتياط فى المعاش وحفظ لما فى أيديهم خوف ذل السؤال(٤).

وكانت عادة التسول من العادات المستقبحة عندهم يقول المقرى «وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق فى الدروزه(٥) التى تكسل عن الكد وتحوج الوجوه للطلب فى الأسواق فمستقبحة عندهم إلى نهاية، وإذا رأوا شخصًا صحيحًا قادرًا على الخدمة يطلب، سبّوه وأهانوه فضلاً عن أن لا يتصدقوا عليه فلا تجد بالأندلس سائلاً إلاّ أن يكون صاحب عذر»(٦).

---

(١) ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٣٨، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٤.

(٢) «جمع فحص وهو المرج» انظر ابن الخطيب: نفس المصدر والصفحة هامش رقم ٢.

(٣) المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ٢٢٠.

(٤) المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ٢٢٣.

(٥) الدروزة من الفارسية «درويزة» أى للكدية والشحذ (المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ٢٢٠ هامش رقم ١).

(٦) المقرى: المصدر السابق: جـ ١ ص ٢٢٠ وما بعدها.

وإلى جانب المتسولين كان هناك بعض القمارين والخمارين الذين يقومون باستدراج البعض للعب الورق أو بيع الخمر لهم للاستيلاء على ما معهم من نقود[١].

ويرى الجرسفى أن يمنع ذلك وينهى عنه[٢]، كما يرى الجرسفى أيضًا «منع السفلة والصبيان من الرش بالماء فى الأسواق والشوارع فى يوم المهرجان واللعب بالمقارع والعصى فى الشارع»[٣].

وفى يوم الجمع والأعياد يبدأ خروج النساء لزيارة المقابر فيتعرضون للمضايقات من جانب الشباب الذين تزدحم بهم الطرقات[٤].

وينهى ابن عبدون عن هذا بقوله «لا يترك الشبان أيام العيد يجلسون فيها على الطرقات لاعتراض النساء، ويجد فى منع ذلك المحتسب والقاضى، يجب أن يمنع السلطان أن يجلس على أفنية القبور لمراودة النساء، ويتعاهد ذلك كل يوم مرتين، يفعل ذلك المحتسب»[٥].

كما يرى ابن عبد الرءوف «بمنع النساء من الوقوف على أبواب الدور لما فيه من الكشف وعدم الاستتار»[٦].

كما نهى ابن عبدون عن دخول النساء المسلمات إلى الكنائس «فإن القسيسين فسقة»[٧] «كما يمنع الإفرنجيات من الدخول فى الكنيسة إلا فى يوم فضل، أو عيد فإنهن يأكلن ويشربن ويزنين مع القسيسين، وما منهم واحد إلا وعنده اثنتان أو أكثر يبيت معهن، وقد صار هذا عرفًا عندهم، لأنهم حللوا والحرام استحرموا الحلال»[٨].

وكانت الطرقات لا تخلو من الناس الذين يشغلون الطريق وطرح الأزبال، يقول ابن

(١) الجرسفى: ثلاث رسائل فى الحسبة: ص ١٢٣.
(٢) الجرسفى: ثلاث رسائل: ص ١٢٣.
(٣) الجرسفى: المصدر السابق: ص ١٢٤.
(٤) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ١٢.
(٥) ابن عبدون: المصدر السابق: نفس الصفحة.
(٦) ابن عبد الرءوف: نفس المصدر: ص ١١٣.
(٧) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٨.
(٨) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٤٨ ـ ٤٩.

عبد الرءوف: «يمنع الناس عن الجلوس على الطرق والأحداث فيها وعقد المصارع فيها من غير حاجة وإلا لمأمون خاصة... ويمنع عن طرح الأزبال والجيف وما أشبههما فى المحجات، فإن ذلك يضر بالديار»[١].

كما انتشر فى شوارع مالقة الكتبة ويسميهم «كتاب الشارع» «والناس مجتمعون حولهم لكتابة شكواهم وخطاباتهم وكان محرم عليهم كتابة سب أحد أو هجوه أو ما يتضمن سعاية للسلطان».[٢]

ومن العادات التى انتشرت فى المجتمع الغرناطى عادة إهداء بواكير الفاكهة التى اشتهرت بها الأندلس مثل الرمان وحب الملوك (الكرز) والعنب وغيرها[٣].

الحياة الاجتماعية المشتركة لجميع الطبقات

وبعد أن عرضنا للحياة الاجتماعية لطبقتى الخاصة والعامة فى غرناطة نعرض لحياة طبقة العامة والخاصة معًا وهى الحياة التى اشتركت فيها كل طوائف المجتمع الأندلسى عامة والغرناطى خاصة وهى الزواج وحياة الأسرة الغرناطية، الأعياد والمواسم والاحتفالات واللهو والطرب.

الزواج

يذكر ابن عبد الرءوف أن من شروط الخطبة اختيار الفتى لعروسه، فالاختيار عادة يتم بواسطة الأهل والأصدقاء أو يكون الفتى قد رأى الفتاة أو شاهدها، وأحيانا تتدخل الأمهات تدخلاً صريحًا فى اختيار العروس لأبنائهن وكان يقابل هذا التدخل أحيانًا بعدم الرضى من جانب الشاب[٤].

ويذكر ابن سهل «أن فرائض النكاح ثلاثة، الولى والصداق وشاهدان، وسنته إظهاره والوليمة والدخان، والنكاح مندوب إليه لمن قوى عليه ولا يكون إلا بولى ذكر وصداق

(١) ابن عبد الرءوف: نفس المصدر: ص ١١١.

(٢) السقطى: فى أدب الحسبة: ص ٦٨.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: مخطوطة الاسكوريال: لوحة ٣١٤ ـ ٣٢٤.

(٤) ابن عبد الرءوف: ثلاث رسائل: ص ٧٩.

ولا حد لأكثره وأقله محدود وهو ربع دينار أو ثلاثة دراهم كيلاً أو ما قيمته أحدهما»[١] ولذلك يذكر ابن عبد الرءوف أنه «لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها ولا يجوز النكاح بغير ولى».[٢]

ولقد كان الزواج يمر بكثير من الإجراءات حتى يتم من موجبات صحة النكاح وفى كيفية العقد وشروطه وفى الأولياء وفيمن تئول إليه الولاية فى غياب الولى الشرعى وفى حكم غيبة الأب عن ابنته البكر ثم الصداق وحكمه وقدره وجنسه وتأجيله وما إلى ذلك[٣].

ويذكر ليفى بروفنسال[٤] «أن فترة الخطبة والزواج كانت مصحوبة بمصروفات كثيرة فقد كان أجر المأذونين مرتفعًا وكان طالب الزواج يقوم بتأسيس مكونات جهاز العروس وملابسها، ثم تحديد ميعاد الزفاف وتستمر احتفالات الزواج أسبوعًا كاملاً فى منزل العروس تتلقى فيه تهانى نساء الأسرة والصديقات والأقرباء»[٤].

وقد كانت المهور مرتفعة القيمة من ذلك ما دفعه أبو عبد الله بن أبى وإبراهيم والى غرناطة من مهر للسيد أبى حفص للزواج من ابنته أثناء مقامه فى مراكش سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م[٥].

وكان عقد الزواج يتم فى المسجد، يقول التادلى «وكانت عامة أهل البلدان يعقدون أنكحتهم بالمساجد»[٦] وكان المغنون يشتركون فى إحياء حفلات الزواج ويرى ابن عبد

(١) ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام (المعروفة بالأحكام الكبرى): ورقة ٧٩، انظر نورة التويجرى: تحقيق المخطوط: ص ٤٥، ص ٢٨٣.

(٢) ابن عبد الرءوف: ثلاث رسائل: ص ٧٠.

(٣) ابن رشد القرطبى: الأندلسى: (ت ٥٩٥ هـ) بداية المجتهد ونهاية المقتصد: جـ ٢ تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم: ص ٣ ـ ص ٢٥ طبعة ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ دار الكتب الإسلامية.

(5) Levi Provencal, L'Esp. M. V. 111, P. 403.

(٥) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٢٩٧، طبعة ١٩٦٧، كذلك حين عقد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قرانه على ابنة ابن مردنيش سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م وضع لها مهرًا قيمته ٥٠ دينارًا وقدم لها هدية قيمتها ألف دينار، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: القسم الموحدى، طبعة تطوان، جـ ٤ ص ٢٢، ص ٢٣.

(٦) التادلى: التشوف: ص ٧٥.

الرءوف «أن يمنع اللهو كله على أنواعه فى الأعراس وغيرها كالعود وغيره إلا ما كان من الدف العربى الذى هو شبه الغربال خاصة»[١].

وذكر ابن عبد الرؤوف أيضًا أنه على الرجل الذى تزوج بأكثر من واحدة «أن يسوى بينهما فى الملبس والطعام والمبيت ولا يفضل واحدة منهما على صاحبتها إلا ما لا يستطيع العدل فيه مثل الجماع والمحبة وليتق الله فى ذلك»[٢].

وفى أثناء حفلات الزواج كان العامة من المدعوين يضربون البوق والكير والمزهر والطنبور والعود هذا إلى جانب غناء المغنين والمغنيات الذين كانوا يطلقون حناجرهم بالغناء ابتهاجًا بتلك المناسبة وكان يختلط الرجال بالنساء فى هذه الاحتفالات مما دعا الجرسفى إلى منع ذلك[٣].

ووضحت كتب الحسبة أنه يجب أن يؤخذ سلاح الشبان لدى إقبالهم إلى العرس قبل أن يشربوا[٤] وذلك منعا لحدوث أى مشاجرات أو حوادث، وكان الحواة أحيانًا يتقدمون موكب الزفاف ويرى ابن عبدون منع ذلك[٥].

هذا وقد اشتهرت بعض المدن الأندلسية بجمال نسائها مثل نساء غرناطة، يقول ابن الخطيب: «وحريمهم حريم جميل موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشذا وخفة الحركات»[٦].

وقد كانت الظروف أحيانًا تفرق بين المحبين وتقضى على أحلامهم فى الزواج وتكوين الأسرة، من ذلك ما حدث لجعفر بن سعيد، وقد سبق الحديث عنه، فقد قتله والى غرناطة السيد أبو عثمان الموحدى بسبب منافسته له على حب الشاعرة الغرناطية حفصة الركونية[٧].

---

(١) ابن عبد الرءوف: ثلاث رسائل.

(٢) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق: ص ٨٠.

(٣) الجرسفى: ثلاث رسائل ص ١٢١.

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٥٤.

(٥) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٥١.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٩، اللمحة البدرية: ص ٤١.

(٧) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ٢ ص ١٨٣، ترجم لها ابن دحية فى المطرب مصورة بدار الكتب المصرية ص ١٠، المقرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ١٧١ ـ ص ١٧٢ ياقوت: معجم الأدباء جـ ١٠ ص ٢١٩ طبعة القاهرة.

الطلاق

وكما أن الزواج ظاهرة اجتماعية طبيعية كان الطلاق أيضًا إحدى الظواهر الاجتماعية الموجودة فى المجتمع، فابن عبد الرءوف يرى «بأن يؤدب من يحلف بالطلاق أو بطلاق الثلاث»[١] كما يؤمر الرجل أن لا يتخذ النكاح والطلاق والعتاق هزلاً ولا لعبًا، لقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾[٢] كما يؤدب «من شكتْ به امرأته، وعليها آثار ضرب مُبَرح على حسب ما يظهر عليها من ذلك، إلا أن يكون ضربه إياها على مضجعها، فلا يعرض لها بمكروه»[٣].

كما يؤمر الموثقون أن لا يعقدوا مراجعة رجل طلق امرأته خُلْع[٤] أو تمليك[٥] وهى

(١) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل ص ٨٣.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٣١.

(٣) ابن عبد الرءوف: ص ٨٣.

«هذا وقد كان الزواج يمثل عبئًا على بعض الرجال العابثين ومن هؤلاء الزجال ابن قزمان، فلم يكن ابن قزمان من أولئك الناس يحبون البيت ويألفون حياة الأسرة، بل كان قلق الشخصية مسرفًا، محبًا للشراب وولعًا باللهو والعبث، وقد قص علينا أنه تزوج مرة ولكنه ضاق بالزواج وبالمرأة وبمسئولية البيت، وقد عبر عن هذا أحسن تعبير وأقواه، فى أسلوب يكاد يكون حديثًا صالحًا لكل عصر، انظر عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٧٦، انظر زجل ابن قزمان فى ديوانه زجل من ١٤ ـ ٢٢، وانظر ابن سعيد: جـ ١ ص ٢٨٣.

ولم يكن هذا هو مبدأ كل الرجال فها هو الفقيه عبد الملك بن حبيب يحن إلى زوجته وبيته وأهله وأحس بالغربة أثناء سفره لأداء فريضة الحج فنادى:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بأكناف نهر الثلج حين يصوب

وحولى أصحابى وبنتى وأمها ... ومعشر أهلى، والرءوف مجيب

انظر عبد العزيز الأهوانى: المرجع السابق ص ٧٨.

(٤) طلاق الخلع «الخلع والفدية والصح والمبارأة كلها تئول إلى معنى واحد هو بذل المرأة العوض على طلاقها» انظر ابن رشد: بداية المجتهد جـ ٢ ص ٧٨ وما بعدها.

(٥) طلاق التمليك هو تفويض الطلاق إلى الزوجة وللرجل أن يجعل إلى المرأة طلاقها وذلك على وجهين: توكيل وتمليك ففى التوكيل له أن يرجع ما لم تطلق نفسها، وفى التمليك ليس له ذلك «انظر كتاب مواهب الجليل فى شرح مختصر أبى الضياء سيدى خليل، تأليف إمام المالكية فى عصره».

محمد بن عبد الرحمن المغربى (ت ٩٥٤ هـ) الطبعة الأولى ١٣٢٩ هـ، مطبعة السعادة.

حامل منه، وقد أثقلت أو دخلت فى ستة أشهر من حملها، لأنها مريضة ونكاح المريض لا يجوز[١] «كما يؤدب كل من حلف-بالطلاق أو بطلاق الثلاث»[٢] كذلك «يؤمر الرجل ألا يكون محللاً لغيره فإن فعل ذلك عوقب هو والمرأة والبينة والذى عقد النكاح إن علموا بذلك»[٣].

الزى الغرناطى

انتشر استخدام الملابس الصوفية بين سكان غرناطة فأصبح أكثر الناس يلبسون الأكسية الصوفية يقول ابن الخطيب «ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملف المصبوغ شتاء»[٤] أما فى الصيف فكانوا يرتدون أنواع الملابس المختلفة من حريرية[٥] وقطنية وكتانية[٦]، يقول ابن الخطيب أيضًا «والأردية الأفريقية والمقاطع التونسية والآزر المشقوقة فتبصرهم فى المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة، فى البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة»[٧].

وكان فصل الصيف يبدأ عندهم ابتداء من مهرجان العنصرة الموافق ٢٤ يونيه من كل

(١) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق: ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٣.

(٣) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٣٤ «الملف هو نسيج من الصوف، انظر الفصل الثانى من الرسالة، وهو الجوخ المنسوج من الصوف» ابن الخطيب: نفس المصدر والصفحة، اللمحة البدرية: ص ٣٨.

(٥) كانت المرية فى مقدمة المدن التى تضع النسيج وخاصة الحريرى بالإضافة إلى مالقة ومرسية، انظر ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ١٤ ـ ص ١٦، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٨٧، طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٦٣ طبعة ١٩٦٧.

(٦) اشتهر إقليم غرناطة بكثرة إنتاجه من الحرير والكتان وخاصة فحص البيرة وفنيانة ووادى آشى، انظر الحميرى· الروض المعطار: ص ٢٤، ص ١٤٣، ص ١٩٢، وهو ما ذكره معاهدتها ترغيبًا لابن رذمير فى امتلاكها، انظر مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ ـ ص ٩١، وابن الخطيب: جـ ١ ص ١٠٩.

(٧) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٣٤ (كما عرف أهل غرناطة نوعًا من القماش يعرف بالملبد ذو الألوان العجيبة) المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٨٧ «الملبد المختم نوع من القماش الحريرى كان يصنع فى غرناطة».

Dozy: Diction, P. 114

عام، وحتى أول أكتوبر، ثم يلبسون الملابس الصوفية الثقيلة والملونة بقية العام[١].

وقد استخدم العامة الملابس الكتانية نظراً لرخصها ومتانتها أما العمامة «فكانت لا تستعمل إلا نادراً ولا يلبسها إلا القضاة والفقهاء، وكان بعضهم يفضل عليها قلنسوة من الخز أثناء الصلاة وأثناء الدخول إلى الخلفاء والملوك»[٢] يقول ابن الخطيب «والعمائم تقل فى زى أهل هذه الحضرة إلاّ ما شاذ فى شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم والجند المغربى منهم»[٣].

وأهل غرناطة يفضلون اللون الأبيض فى لباسهم[٤] على عكس المرابطين الذين اتخذوا السواد شعاراً لهم حين نادوا بسيادة العباسيين[٥]، لكن سرعان ما عاد الموحدون إلى اتخاذ البياض شعاراً لهم من جديد[٦].

أما أهل المرية فكانوا يلبسون الملابس الموشاة والديباج[٧] كما عرف أهل المرية لبس أنواع كثيرة من الثياب الفاخرة التى كانت تنتجها المدينة نفسها مثل «الديباج والسقلاطونى

(١) العمرى: وصف أفريقية والمغرب والأندلس: ص ٤٢.

(٢) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٢، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ٢٢٢.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٦، ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٣٩.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٥.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ١٤٧، أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ الأندلس ص ١٠٠

(5) S.P. Scott: History of Moorish Empire, Vol, 2P. 180.

(٦) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس: ص ٤٢٢.

(٧) ياقوت: معجم البلدان: جـ ٥ ص ١١٩، ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٤ «انتشرت هذه الصناعة فى مدينة المرية التابعة لأقليم غرناطة فتفوقت على قرطبة وأجادت هذه الصناعة إجادة تامة، انظر المصدرين السابقين نفس الجزء والصفحة.

كان أهل غرناطة شأنهم شأن الأندلسيين يعتنون بأزيائهم وملابسهم ويتأنقون وبلغ اهتمام الخاصة منهم أنهم كانوا يفضلون الأزياء المحكمة الصنعة من إنتاج المرية التى كانت تنتج أفخر الثياب وأغلاها، وكان بعضهم من الخاصة مثل ابن قزمان على دراية بأوصاف الثياب وأنواع التفصيل وأصناف النسيج وله جولات كثيرة فى الأسواق لاختيار الثياب كما يقول فى الزجل ٨٧ انظر عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٧٢، ص ٧٣ وفى هذا الزجل يحدثنا ابن قزمان بأنواع الثياب ويحدثنا بألفاظ اصطلاحية قل أن نجدها فى كتاب آخر، انظر الزجل السابق: الأهوانى نفس المرجع والصفحة.

كنريد نلَبس فذ العيد ... مَحْشوا جديد مشاكل
حَسَن التفصيل مَلح ... واسع التربيع وكامل

والأصبهانى والجرجانى والستور المكللة والثياب المعينة والعتابى الفاخر»[١].

أما أهل مالقة فقد استخدموا فى أزيائهم الثياب المصنوعة من الحرير الموشاة بالذهب[٢].

وإلى جانب أهل إقليم غرناطة عاشت معهم أجناس أخرى كان لكل كل منهم زيًا خاصًا بهم سواء من البربر أو المرابطين أو الموحدين أو من أهل الذمة من النصارى واليهود.

فقد استخدم المرابطون الملابس الصوفية فى أزيائهم[٣]، أما ألوان ملابسهم فكانت متنوعة، ومن أهم الألوان المستخدمة فى ملابس المرابطين اللون الأسود، فكانت أعلامهم وملابسهم سوداء[٤] وإلى جانب اللون الأسود استخدم المرابطون عدة ألوان منها اللون الأصفر والأبيض[٥]، كما استخدموا الملابس الكحلية اللون[٦].

كذلك اتخذ المرابطون اللثام إذ كانوا يضعونه على وجوههم وصار هذا اللثام علامة

= وهو صاحب ذوق فى اختيار الألوان زيادة على خبرته بالأنواع فالثوب الأزرق يستلزم جبة خضراء، هذا وهو لا ينسى أن يخصص الأزرق بأنه سماوى والأخضر بأنه فستقى، انظر الأهوانى نفس المرجع ص ٧٤ والزجل رقم ٢٤.

(١) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤ «الديباج هو قماش من الحرير وهو نوع من الأقمشة الحريرية والقطنية المختلفة الألوان، انظر Dozy, Diction. P.P. 113 - 436

أما العتابى فينسب إلى حى عتاب فى بغداد حيث توجد مصانعه Dozy, Op. Cit. P. 110

(٢) المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٢١٩، طبعة سنة ١٩٦٧، ابن سعيد: الجغرافيا: ص ١٤٠ «وفيها ـ أى مالقة ـ تنسج الحلل الموشية التى تجاوز ثمنها الآلاف ذت الصور العجيبة برسم الخلفاء فمن دونهم» انظر المصدرين السابقين نفس الجزء والصفحة.

(٣) الإدريسى: نزهة المشتاق: ص ٥٨.

(٤) S.P. Scott: History of Moorish Epire; Vol. 2, P. 180

سيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير: ص ٧١٧، أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس: ص ١٠٠، حركات: المغرب عبر التاريخ: ص ٢٣٦.

(٥) ابن القاضى: جذوة الاقتباس: ص ١٤٥.

(٦) ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ٨٩.

مميزة لهم[١].

أصبح اللثام يشير إلى كبار رجال الدولة وأبناء القبائل المرابطية، ومن هنا اتخذ بعض العامة اللثام زيًا لهم للتمويه على الناس فأوجب ابن عبدون «عدم لبس اللثام إلا أن يكون صنهاجي أو لمتوني أو لمطي»[٢].

أما الموحدون فقد استخدموا أيضًا الملابس الصوفية فكانت صنهاجة تستخدم الصوف ويحتزم أفرادها بمآزر صوف كانوا يسمونها «أسفاقس» وكانوا يتركون رءوسهم عارية[٣]، ويبدو أن البربر سواء من المرابطين أو الموحدين بعد اتصالهم بأهل الأندلس وانفتاحهم على حياة اللهو لم يتعودوها في بلادهم، أقبلوا على ارتداء الملابس الحريرية المطرزة وغالوا في ذلك، مما دفع الخليفة المنصور الموحدى إلى إصدار أمر ببيع ما في خزائن الدولة من هذه الحرائر كما طالب الرعية بالتخفيف من ارتداء هذه الملابس، يقول ابن عذارى «ثم أمر ـ أي المنصور الموحدى (٥٨٠ هـ) ـ بقطع لباس الغالي من الحرير والاحتزاء منه بالرسم الرقيق الصغير ومنع النساء من الطرز الحقبل وأمر بالاكتفاء منه بالساذج القليل، وأمر بإخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان لم تعرف ولم تستقصى»[٤].

أما الجنود فكانوا صنفين جند أندلسي وجند بربري، يقول ابن الخطيب «والأندلس

(١) الكبرى: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب: ص ١٧٠، حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية: ص ٤٣٨، ما زالت قبائل الطوارق أو التوارجة في صحراء الجزائر يستعملون اللثام، ويقال إنهم من قبيلة ترغة إحدى قبائل الملثمين، ويضعهم ابن خلدون في كتلة البربر البرانس التي تنتمي إليها صنهاجة، انظر البكري: المغرب في وصف إفريقية والمغرب: طبعة دي سلان الجزائر ١٩١١ ص ١٧٠، ابن خلدون: العبر: جـ ٨ ص ٨٩ وما بعدها.
وقد اختلفت الآراء حول هذه العادة، وأغلب الظن أنهم أخذوها من زنوج أفريقيا المجاورين الذين استخدموا الأقنعة لدفع العين الشريرة عنهم انظر:
Ander Julian: Histoire de l"Afrique de Nord, P. 77, Paris, 1952.

(٢) ابن عبدون ثلاث رسائل: ص ٢٨ «أورد ابن تومرت في كتابه أعز ما يطلب بابًا في وجوب مخالفة المرابطين في زيهم وتحريم الاقتداء بهم» انظر ابن تومرت: أعز ما يطلب: ص ٢٦٣، الجزائر، سنة ١٩٠٣.

(٣) ابن سعيد: نزهة الأقطار: جـ ١ ص ١١، الإدريسي: نزهة المشتاق: ص ٦٢.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤، القسم الموحدى، طبعة تطوان، ص ١٠٣ ـ ص ١٠٤.

منها يقودهم رئيس من القرابة أو حصى[١] من شيوخ الممالك، وزيهم فى القديم شبه زى أقتالهم[٢] وأضدادهم من جيرانهم الفرنج، إسباغ الدروع، وتعليق الترسة وحفا البياضات واتخاذ عُراص الأسنة وبشاعة قرابيس السروج، واستركاب حملة الرايات خلفه، كل منهم بصفة تختصّ بسلاحه، وشهرة يُعرف بها». [٣]

«والبربرى منه يرجع إلى قبائله المرينية والزناتية والتيجانية والمغراوية والعجيبة، والعرب المغربية إلى أقطاب ورءوس يرجع أمرهم إلى رئيس على رؤسائهم، وقطب لعُرفاهم، من كبار القبائل المرينية، يمت إلى ملك المغرب بنسب»[٤].

ويقول ابن غازى: إن الجند المرابطى كان يتزيا باللثام والغفارة القرمزية وهو نوع من الكساء والعمامة ذات الذؤابة[٥].

أما جنود الموحدين فقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى نوع الثياب التى كانت توزع عليهم من قبل الخلافة ففى سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م وزع الخليفة عبد المؤمن بن على أثناء توجههم إلى غرناطة للقضاء على ابن همشك الثياب والكساء والعمائم والبرانس[٦].

وفى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م وزع عليهم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كسوة تامة لكل جندى وهى مكونة من غفارة وعمامة وكساء وقبطية وشقة[٧].

أما اليهود فقد حدد لهم المنصور الموحدى زيا خاصا بهم يتميزون به بين طوائف

(١) الحصى هو الرجل الوافر العقل، انظر الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٦، هامش رقم ١.

(٢) «المقصود هنا الذين يقاتلونهم».

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٦.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٦.

(٥) ابن غازى: الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون طبع حجر مغربى، ص ٦.
«الغفارة كساء يلبس فوق آخر وهو رداء واسع يلبسه الجنود عادة وما زالت كلمة غفارة تستعمل فى المغرب بمعنى السلهام. R. Dozy, Supplement aux Dictionnaires Arabes, 11 P. 218

(٦) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٢٢١ «البرنس كساء يكون غطاءً للرأس جزء منه متصل به وكانت مدينة نول فى القديم مركزًا مصورًا لاقتناء البرانس» انظر المصدر السابق: نفس الصفحة، هامش ٢، والإدريسى: نزهة المشتاق: ص ٦٠ و Dozy: Sup. T. 1 P. 79

(٧) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٢٢٩ ـ ص ٣٠٠، جمع غفارة: كساء يلبس فوق آخر، انظر لسان العرب، والقبطية هى ثوب أبيض رقيق مستطيل الشكل، انظر ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر والصفحة.

الشعب وذلك حتى يمكن التمييز بينهم وبين غيرهم من المسلمين وخاصة بعد تظاهرهم بالإسلام[١].

يقول ابن عذارى «فجعل ـ أى المنصور الموحدى ـ لهم صفة كحداد ثكلى المسلمين أردان قمصهم طول ذراع فى عرض ذراع وبرانيس زرق وقلانس زرق وذلك فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة المؤرخ ٥٩٥ هـ»[٢].

ويضيف الدكتور مصطفى الشكعة فى كتابه الأدب الأندلسى أن أزياء النساء كان طابعها الأناقة والنفاسة والإسراف[٣].

ويؤكد ابن الخطيب هذا المعنى بقوله عند الحديث عن نساء غرناطة «وقد بلغن من التفنن فى الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات، والتنفيس بالذهبيات والديبجيات والتماجن فى أشكال الحلى إلى غاية نسأل الله أن يُغض عنهن الدهر، ويكفكف الخطب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وأن يعامل جميع من بها بستره، ولا يسلبهم خفى بعزته وقدرته»[٤].

وهذا وقد استخدم أهل غرناطة الحُلى بأنواعها الذهبية والفضية[٥]، بالإضافة إلى الأحجار الكريمة التى كانت موجودة بكثرة فى الإقليم، يقول ابن الخطيب: «وحليهم فى القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل الذهب الخالص، إلى هذا العهد، فى أولى الجدة واللجَيْنُ فى كثير من آلات الرجلين، فيمن عداهم، والأحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والنمرد ونفيس الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المُستندة إلى ظل، أو أصالة معروفة موفورة»[٥].

---

(١) الزركشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية: ص ١١.

(٢) ابن عذارى: البيان: جـ ٤ القسم الموحدى تطوان ١٩٥٦ ص ١٨١.

(٣) مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسى: ص ٨٥.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٩.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٨ ـ ص ١٣٩.

الطعام والشراب

أما طعامهم «فالغالب عليهم القمح والفقراء يقتاتون الذرة العربية»[١].

وقد تفنن سكان إقليم غرناطة فى صنع كثير من ألوان الطعام المختلفة وصارت موائدهم حافلة بالأنواع المختلفة من الأطعمة والحلوى وأصناف الفواكه والأشربة المختلفة وساعدهم على ذلك غنى البيئة الغرناطية التى كانت حافلة بشتى أنواع الفاكهة[٢] والخضروات[٣]، يقول ابن الخطيب: «وتركب ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث، الكروم البديعة، طوقًا موقومًا... وهى ـ أى غرناطة ـ ذوات الفواكه من اللوز والآجاص والكمثرى محدقة»[٤] بالإضافة إلى أنواع اللحوم المختلفة سواء الغنم أو الأبقار أو الطيور[٥]، وأنواع الأسماك المختلفة[٦]، وأنواع التوابل والأفاوية[٧] والتى استخدمها أهل غرناطة فى طعامهم.

هذا وشاع الترف[١] بين طبقة الخاصة فى المأكل فى ذلك العصر الذى نحن بصدد

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: ص ١٢٠، عن فواكه غرناطة انظر الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣ ـ ص ٢٤، الإدريسى: نزهة المشتاق: ص ١٩٢.

(٣) يقول ابن الخطيب: إن غرناطة «قد غصت الدكاكين بالخضر الناعمة والفواكه الطيبة، والثمر المدخرة» ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١١٥ ـ ص ١١٦.

(٤) ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١٢٠.

(٥) يقول ابن الخطيب: إن غرناطة «ذات بيادير فسيحة ومصاب للحمايم والدواجن مائلة» انظر ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١٢٥.

(٦) أمدت مدينة المنكب إحدى مدن إقليم غرناطة بأنواع كثيرة من الأسماك حيث يكثر بها صيد الأسماك، انظر ابن الخطيب: نفاضة الجراب، نشر أحمد مختار العبادى، ص ١٠٩، هامش ١، ص ٣٠٠ حاشية ٦، الإدريسى: نزهة المشتاق: ص ١٩٩، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٦، البغدادى: مراصد الاطلاع: جـ ٣ ص ١٦٤، أما شلوبانية فهى وافرة الأسماك، أيضا ابن الخطيب: مشاهدات: نشر العبادى ص ٨٠، الحميرى: المصدر السابق: ص ١٣٦، أما مالقة فكانت مستودعًا للأسماك المالحة التى تعمل وتحفظ فيها، انظر نفاضة الجراب: ص ٢٨٦، هامش ٣، أما مربلة فقد كانت مركزًا عظيمًا لصيد الأسماك والسردين، انظر ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٧٥، حاشية ٤.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨.

دراسته، وقد تفنن الأغنياء فى طهو نوع واحد من الطيور بطرق مختلفة، فمثلاً كانت الدجاجة تطهى بطرق عديدة بحسب ما يضاف إليها، فقد كانت تحمر بالجوز والزعفران، أو تحمر باللوز المدقوق أو تحمر بماء الكزبر الأخضر أو بالصنوبر أو بالفستق، كما كانوا يشوون بعض الحيوانات الكبيرة مثل الخراف والعجول ويضعون بداخلها الطيور المشوية[٢].

ولكن هذا الإسراف فى الطعام لم يكن موجوداً فى مطابخ العامة من الناس، وخاصة الطبقات الفقيرة التى لم تكن تستطيع عمل ذلك ووصل الحد ببعضهم أنه كان يلتقط بقايا مطبخ الخلفاء والحكام والأغنياء ويتخذ منه طعامًا لهم[٣] يسد به رمقه، وبالإضافة إلى أنواع اللحوم من العجول والخراف والطيور بأنواعها كان أهل غرناطة يتناولون طعامهم من الأسماك البحرية وخاصة المدن البحرية مثل المرية والمنكب ومالقة[٤]، فكانوا يعرفون من أنواع الأسماك والسردين الكثير بالإضافة إلى أنواع القنطون والحوت الذى كان متوفرًا فى سواحل مالقة، ومن الأطباق المشهورة أيضا طبق (البلاجة) وهى تصنع من الأكباد ويوضع

---

(١) بلغ الترف فى المأكل فى عصر الموحدين حدا أنه صنع للسيد أبى العلاء بسبته نوع من الأكل يسمى «عجل مشوى» وهو أن يؤخذ كبش فتى سمين مسلوخ ومنظف ويفتح بين فخذيه فتحًا عميقًا ويخرج جميع ما فى جوفه من أحشاء برفق، ثم يدخل فى جوفه أوزة مشوية وفى جوف الأوزة دجاجة مشوية، وفى جوف الدجاجة فرخ حمام مشوى وفى جوف الفرخ زرزور مشوية وفى جوفه عصفور مشوية أو مقلية، كل ذلك مشوية مدهونة بالمرقة الموصوفة للشواء ويخاط ذلك الفتح ويدخل الكبش فى التنور المحمى ويترك حتى ينضج ويحمر ويطلى بتلك المرقة ثم يدخل فى جوف عجل قد أعد ويخاط عليه ويجعل فى تنور محمى ويترك فيه حتى ينضج ويحمر ثم يخرج ويقدم».
انظر آويش ميراندا: المطبخ الأسبانى المغربى خلال عصر الموحدين: ص ١٤٣، هامش ٣، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٥٧، ص ١٣٧ ـ ص ١٥٥، انظر مجهول: الطبيخ فى المغرب والأندلس: ص ٢٠٠ معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٦٥ تحقيق هويش ميراندا المجلد الخامس ص ١٣٧ ـ ص ١٥٥، ٢٠٠.

(٢) مجهول: الطبيخ فى المغرب والأندلس: ص ١٣٢، ص ١٥١، ص ١٥٢، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٦٥، تقديم حسين مؤنس.

(٣) مجهول: المصدر السابق: ص ٨١.

(٤) مجهول: المصدر السابق: ص ١٧٢ ـ ص ١٧٧.

عليها الزيت والكزبرة والخل والثوم وتوضع في الطاجن وتطبخ[١].

كذلك يحشى مصران الخراف باللحم[٢]، كما كانت الكبد والقلوب تشوى داخل فرن من الطوب[٣].

أما الأجبان فكانت تصنع من لبن البقر والغنم والعنز والجاموس ولا تؤكل جبن المجوس لأن ذبائحهم لا تحل للمسلمين[٤].

وكانت التوابل تستعمل بكثرة في مختلف أنواع الأطعمة وخاصة في أنواع اللحوم سواء المطهوة أو المشوية أو المقلية، ومن أشهى التوابل التي استعملها أهل غرناطة الفلفل والزعفران[٥] والقرفة والكزبرة والسنبل والزنجبيل واللور والدارصيني[٦] والكمون والكراوية، كما كانوا يضيفون الخل أيضا إلى معظم الأطعمة سواء كانت مشوية أو مطهية لكي تكسبها طعما ورائحة مقبولة[٧].

وكان الأندلسيون من أهل غرناطة شأنهم باقي الأندلسيين لا يستعملون السمن أو الزبد في طعامهم إلا نادرا، كما كانوا يفضلون عليه الزيت، وكان الزيت يدخل في معظم الأطعمة سواء كانت مقلية أو مطهوة، وإذا حدث واستعملوا السمن فكانوا يضيفون إليه الزيت تخفيفًا لحدته[٨].

وقد اشتهرت بعض عناصر السكان بأنواع معينة من الأطعمة فالبربر وخاصة قبائل

---

(١) السقطي: أدب الحسبة: ص ٣٩.

(٢) السقطي: المرجع السابق: ص ٣٦.

(٣) Levi Provencal, L'Esp. M. Vol. 111, P. 415

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٢.

(٥) اختصت بسطة إحدى المدن التابعة لإقليم غرناطة بالزعفران، انظر الإدريسي: صفة المغرب: ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١، حاشية ٩.

(٦) الدارصيني شجر له قشر يستعمل مسحوقه في أخلاط التوابل والبهار، انظر ابن ماجه المحتسب: نهاية الرتبة: ص ٤٣.

(٧) مجهول: الطبيخ: ص ٤٠، ص ٧٩، ص ٨٠، ص ٨٢.

(٨) مجهول: الطبيخ: ص ؟.

لمتونة ومسوفة وغيرها من قبائل صنهاجة كانوا يأكلون لحوم الأغنام ويشربون ألبانها[١].

كما كان لهم طعام وطنى يشترك فيه كل قبائل البربر ويأكلونه فى المناسبات وهو طعام أساسى وهو مكون من كبش مضاف إليه الملح[٢].

وهناك بعض ألوان الطعان المنسوبة إلى بعض الفئات والأشخاص، ومن ذلك طعام الخاصة ويسمى بالصنهاجى والملوكى وهو مكون من لحوم البقر والغنم والدواجن ويستعمله الخاصة[٣].

كما كان الملوك والخاصة والرؤساء يأكلون أمخاخ ما يذبح من الطيور والحيوانات[٤].

كما كانت توجد بعض الأطعمة الخاصة باليهود منها الفروج اليهودى[٥] والحجلة اليهودية[٦].

وكان كثيرون من أفراد الطبقة الخاصة يقدمون تلك الأصناف منفردة أى صنفا بعد صنف، بدلا من وضعها كلها على المائدة، دفعة واحدة، وكانت تلك هى عادة الناس والحكام والأغنياء منذ الفتح حتى القرن السادس الهجرى[٧].

وكانت هناك تقاليد فى تقديم تلك الأطعمة، فكانت لا تقدم أصناف سهلة الهضم مع أخرى عسرة الهضم لأن ذلك يحدث التخمة وبعض أمراض المعدة، وكانوا يقدمون الأطعمة المخلوطة بالخل ثم الأطعمة الحلوة المذاق[٨].

كما كانت هناك بعض الأطعمة الشعبية مثل الحشيشة والعصيدة، وكانت تصنع من لباب الخبز أو القمح المجروش ويضاف إليها اللبن والعسل والزبد والقرفة والسكر[٩].

---

(١) مجهول: تواريخ مدينة فاس: ص ٢٧، البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية، ص ١٦٤.
(٢) البيذق: أخبار المهدى: ص ٧٣. (٣) مجهول: الطبيخ: ص ١٢١.
(٤) مجهول: المصدر السابق: ص ٢٤.
(٥) مجهول: نفس المصدر: ص ٣٥ ـ ص ٣٦.
(٦) مجهول: نفس المصدر: ص ٦٨.
(٧) مجهول: نفس المصدر: ص ٦ ـ ص ٨٥.
(٨) مجهول: المصدر السابق: ص ٧٦، ص ٨٢، ص ٨٥.
(٩) مجهول: الطبيخ: ص ١٩١ ـ ١٩٤.

الشراب

أما عن الشـراب الذى كان يتناوله الناس فى غرناطة فكان أشـهره الخمر وكـان شراب الخمر شـيئًا عاديًا فى حيـاة الخاصة والعامة، وقـد رأينا كيف كان الخاصة يشـربونها حيث كانوا يقضون أوقاتهم فى اللهو والنزهة والشراب، وكان الشعراء يقضون أوقاتهم فى اللهو، والنزاهة والشراب، وكـان الشعراء والأدبـاء يشربونها لأنهـا تطلق النفس من عقـالها وتزيد السرور، والأدباء المعدمون إذا ما تيسر لهم شربها فإنما يشربونها لنسيان الهموم والهرب من الأحزان[١].

وكان ذوو الجاه يشربونهـا دون تحرج أو خوف وكان البعض الآخر يتـحرج فى شربها مثل السيد اللص فقد تحرج فى شرب الخمر فى مجلس شراب عند أبى جعفر بن سعيد[٢].

وكان بعض السادة الموحدين لا يكتفون بالمجاهرة فى شربها فحسب، بل يجبرون من يستحرم ذلك على شـربها، كالذى حدث للأديب الرحالة محمـد بن جبير[٣] عندما استدعاه أبو سعيـد بن عبد المؤمن، صـاحب غرناطة، لأن يكتب كتابًا عنده وهو على شـربه، فمد يده إليه بكأس، فأظهر الانقباض: وقال «يا سيدى مـا شربتها قط، فقال: والله لتشربن منها سبعا، فلما رأى العزيمة شرب سبع كـئوس فملأ السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك فى حجره»[٤] على ما سبقت الإشارة إليه.

---

(١) حكمة على الأوس: الأدب الأندلسى فى عصر الموحدين: ص ١٩٢.

(٢) المقرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ٢٠٣، انظر القصة مفصلة فى الحـديث عن الحياة الاجتمـاعية لطبقة الخاصة.

(٣) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جُبير، الكنانى صاحب الرحلة وهو من ولد صخر بن بكر بن عبـد مناة بن كنانة، أندلسى، شاطبى، بلنسى، مـولده ليلة السبت عاشـر ربيع الأول سنة أربعين وخمسمائة ببـلنسية وسمع من أبيه ومن أبى عبد الله الأصيلى وأبى الحـسن بن أبى العيشى وأخذ عنه القراءات وعنى بالأدب، فبلغ الغاية منه، وتقدم فى صناعـة القريض والكتابة، انظر المقرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٣٨١ ـ ص ٣٨٢، ابن الأبار: التكملة: ص ٥٩٨، والذيل والـتكملة ص ٥٩٥، وابن الخطيب: الإحاطة: جـ ٢ ص ١٦٨، ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ٣٨٤، النجوم الزاهرة: جـ ٦ ص ٢٢١.

(٤) المقرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٣٨٥، راجع ما سبق ص ؟.

ويقال: إن ابـن جبيـر بعدمـا فرج من عنده أضـمر أن يجعـل كفارة شـربه الج بتلك الدنانير.

ولم تخل مجالس اللـهو والطرب من شرب الخمر حـيث كان الفتيان الصـغار يطوفون بأكواب الخمر على الحاضرين، وكان هذه مدعاة لقول الشعر والتغزل بهؤلاء الغلمان[١].

وكان عامة الناس لا يقدرون على شراء نبيذ العنب لأنه كان غالى الثمن فكانوا يصنعون أنواعًا رخيصة يستطيعون شراءها، مثل نبيذ العسل ونبيذ الذرة[٢].

ومن الأشربة المـشهورة التى اتخـذها البربر ـ وخـاصة قبـائل المصامـدة شرابًا لهم ـ شراب اسمه الرب[٣].

وكان المصامدة يشربون أيضا شراب أنزيز وهو حلو وله تأثير شديد كالخمر[٤].

أما قبائل صنهاجة فـكانوا ينقعون الزبيب فى الماء ويشربونه[٥] وقد ذكر صاحب كتاب الطبيخ السالف الذكر أسماء للمشروبات زادت عن ثلاثين نوعًا[٦].

---

(١) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ١ ص ٩٩، ص ٢٦٧، ص ٢٩٧، جـ ٢ ص ٢٩٤.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض: ص ٧٧.

(٣) مجهـول: الاستبصـار: ص ٢١١ «الرب هو الطبيخ الخاثر من عـصير العنب، كمـا هو فى لسان العرب وقد كان شربه معهودًا أول الأمر إلى أن تنبهوا إلى أن مفعوله لا يختلف عن مفعول الخمر الحرام، فأصدروا الأوامر بمنعه، وهكذا فبعد أن كان الرب يقدم فى الاحتفالات الرسمية، وبعد أن كان يبـاع فى مكان خاص بمـراكش (باب الرب) بعد ذلك صودر فى جـميع أنحاء المـملكة سنة ٥٨٠هـ ورجع الناس الى مبدأ ابن تومرت، مـجهول: المـصدر الـسابق: ص ٢١١، بروفنسال: رسائل موحدية: الرسالة ٢٨، ص ١٦٤، السلاوى: الاستقصا: ص ١٨٨، راجع أنواع الربويات: رب السفرجل، رب الرمان، رب التوت فى كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس: ص ٢٥٥.

Allain et Deverden: Les Portes Anciennes de Marrakech: Hesperis, T. 44, 1957 Page 121 - 123

والرب معـروف إلى الآن فى أسبـانيا ويعـرف باسم Arrop، انظر ابن صـاحب الصـلاة: المن بالإمامة: ص ١٧١، ص ١٧٢.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق: ص ٦٢، «هو عبارة عن عصير عنب حلو يطبخ على النار ويخلط بكمية مثله من الماء، انظر الإدريسى: نفس المصدر: ص ٦٣.

(٥) ابن سعيد: نزهة الأنظار: جـ ١ ص ١٠، انظر الإدريسى: نزهة المشتاق: ص ٥٩.

(٦) مجهول: كـتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس: ص٢٢١، ٢٣١، ص ٢٣٨، ص ٢٤٦ وما بعدها.

ومن الأشربة التى كان يقبل عليها الناس، شراب العسل مضاف إليه القرفة والزنجبيل وجوزة الطيب وهو ينفع فى التداوى من أمراض الكبد ويقوى المعدة وسائر أمراض الاستسقا كما يحلل البلغم، ويلين البطن[١].

أما شراب الجلاب وهو مصنوع من ماء الورد مضافًا إليه سكر ويستخدم لعلاج الأمراض السابقة وفى علاج بعض أمراض الحميات[٢].

أما شراب المصطكى فهو شراب مضاف إليه النعناع والسكر والعسل وهو إلى جانب علاجه لأمراض المعدة والكبد يهضم الطعام ويمنع القيء[٣].

أما شراب الورد الأخضر فكان يؤخذ من الورد الأخضر ويضاف إليه السكر وكان يستخدم كملين للإمساك[٤].

كما استخدم الناس أنواعًا من الشراب الفاتحة للشهية مثل شراب الورد اليابس وهو من نبات الورد اليابس ويصفى ويضاف إليه السكر ويستعمل كفاتح للشهية[٥].

وكان شراب البنفسج يؤخذ من نوار البنفسج الأخضر مضافًا إليه السكر وهو يستعمل بالإضافة لعلاج الحميات الصفراء والتلين وقطع العطش يستعمل فى علاج السعال اليابس[٦].

أما شراب التمر الهندى فكان يضاف إليه الماء والسكر ويطبخ ومن منافعه أنه يمنع الإسهال ويوقف القيء كما أنه فاتح للشهية كما أنه يذهب حرارة الفم[٧].

أما شراب الجزر فكان الجزر يؤخذ وتضاف إليه بعض المواد والعسل ويطبخ فى ماء دافئ ومن فوائده أنه يحلل البلغم[٨].

(١) مجهول: المصدر السابق: ص ٢٣٨

(٢) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٣٩.

(٣) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٣٩.

(٤) نفس المصدر: ص ٢٤١.

(٥) نفس المصدر: ص ٢٤٢.

(٦) مجهول: الطبيخ: ص ٢٤٢.

(٧) مجهول: المصدر السابق: ص ٢٤٦ ـ ص٢٤٧.

(٨) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٤٧ ـ ص ٢٤٨.

أما شراب التفاح الحلو فكان يضاف إليه الماء والسكر وهو مهم فى علاج القلب[١].

وهكذا تعددت الأشربة وتنوعت.

المواسم والأعياد

كانت الأعياد فى غرناطة كثيرة ومتنوعة، نذكر منها الأعياد الدينية مثل عيدى الفطر والأضحى، وعيد المولد النبوى فى ١٢ ربيع، وموسم عاشوراء فى العاشر من المحرم، ثم هناك عيد العصير[٢]، ومع ما فى هذه الأعياد من الابتهاج والسرور إلا أنها أعياد مقتصرة، يقول ابن الخطيب: «وأعيادهم حسنة مائلة إلى الاقتصاد»[٣].

وكان أهل غرناطة شأنهم شأن المسلمين فى داخل الأندلس وخارجها يحتفلون بشهر رمضان وذلك بإقامة الحلقات الدينية[٤] والصلاة فى المساجد.

ومن المراسم الدينية فى الأندلس ليلة القدر ففى ليلة السابع والعشرين من رمضان توقد الشموع فى المساجد[٥]، ويحتفل المسلمون بهذه الليلة فيبتاعون الحلوى ويقدمونها[٦].

---

(١) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٤٨.

(٢) يلاحظ أن كلمة عصير لم تطلق على عصير العنب فقط بل على التين الرطب أيضًا، راجع: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس ص ٩٣ حاشية ٢.
ولابن قزمان تصوير لنزهات خلوية أيام العصير وهى الأيام التى كان يخرج فيها الأندلسيون إلى الحقول والأدوية، حيث يبيتون عدة ليال هنالك، وقد ذكرها الشعراء فى أشعارهم ونقل ابن بسام طرفًا منها وكان ابن قزمان يشارك فى هذه الأعياد حيث خرج فى رجال ونساء ومعهم آلات موسيقية يغنون ويرقصون ويعبثون ويستحمون فى النهر وقد ارتدى كل واحد منهم أجمل ما عنده.
انظر ديوان ابن قزمان الزجل رقم ٥٠، الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٩٩.
العصير هو الذى يسمى بالأسبانية Vendimia انظر الأهوانى: نفس المرجع والصفحة.

(٣) ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٤٠، الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧.

(٤) أحمد بن القاسم (التادلى) كتاب المعزى فى أخبار مناقب الشيخ سيدى أبى يعزى رقم ١٢٤٩، دار الكتب ص ٧ مخطوط.

(٥) العمرى: مسالك الأبصار جـ ١ ص ٢١٤، تحقيق أحمد زكى باشا، القاهرة، سنة ١٩٢٤ م.

(٦) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤٠.

كذلك ليلة عاشوراء حيث كان بعض الصالحين يعدون الطعام ويدعون الناس لتناوله احتفالا بهذه الليلة[١].

أما يوم الجمعة فهو عيد الأسبوع عند المسلمين عامة وكان أهل غرناطة يحتفلون فيه بإقامة الصلاة، يقول ابن الخطيب «فتبصرهم فى المساجد، أيام الجمع، كأنهم الأهار المفتحة فى البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة[٢].

وكان الناس يهنئون بعضهم البعض ويقبلون على شراء الحلوى ولذلك يرى الطرطوشى أنه «من البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس فى هذا اليوم على ابتياع الحلوى»[٣].

ويرى ابن عبدون أنه لا يجب أن «يمشى الرجال والنساء فى أيام العيد على طريق واحد»[٤].

أما الطرطوشى فيرى أيضًا أنه من البدع خروج الرجال جميعًا أو أشتاتًا مع النساء مختلطين للتفرج فى أيام العيد، ويخرجون للمصلى ويقمن فيه الخيم للتفريج لا للصلاة»[٥].

أما عيد الأضحى الذى يأتى فى العاشر من ذى الحجة فقد كان فرصة للاحتفال والتأنق سواء فى الطعام أو الشراب أو الملبس، فيذكر ابن عبد الرءوف أن كل أسرة فقيرة أو غنية كانت تحرص على تقديم الأضحية خروفًا على الأقل وقد جرى التقليد على شراء الأضحية قبل النحر بيوم أو يومين[٦].

---

(١) التادلى: التشوف: ص ٢٨٢.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٥.

(٣) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤٠.

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٧.

(٥) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤١.

(٦) ابن عبد الرءوف: ثلاث رسائل: ص ١١٠.

صور لنا ابن قزمان فى زجله (زجل رقم ٨، ٤٨، ٨٢، ٨٥، ٨٩، ٩١، ١١٨) كبش العيد وفرحة الناس وفرحته هو بكبش العيد وطرق طهيه كما يصور لنا منظرًا من مناظر المدن الأندلسية فى القرن السادس، لا يزال قائما حتى اليوم فى كثير من المدن الإسلامية، فقبل عيد الأضحى ببضعة =

وكان النحـر مادة للتفاخر بـين الأسر حيث يذكر الطرطوشى «أن الناس يتنـافسون فى الضحية للافتخار لا للسنة ولا لطلب الأجر بل لإقامة الدنيا»[١].

وكمظهر من مظاهر الاحتفال بالعيد، كـان الناس يلبسون الملابس الجديدة مع التجمل والتزين[٢].

كذلك شارك الغرناطيون إخوانهم المسيحيين فى أعيادهم مثل عيد ميلاد السيد المسيح وعيد العنصرة[٣] أو عيد سان خوان الذى يحتفل به فى أسبانيا فى ٢٤ يونيه وهو يقابل عيد النيروز فى الشرق الذى يحتفل به فى شهر سبتمبر[٤].

أما عيد الفصح فى ذكرى صلب المسيح عليـه السلام، وخميس أبريل يسمونه خميس العهـد، فيحـتفل به النصارى قـبل عيد الفـصح بثلاثة أيام، فكانوا يمـلأون إناءًا من الماء يرتلون عليه ثم يغسلون أرجلهم للتبرك كما فعل المسيح بتلاميذه فى مثل هذا اليوم ليعلمهم التواضع لبعضهم بعد أن أخذ عليهم العهد ألا يتفرقوا[٥].

كما أن هناك عـيدًا جماعيًا لأهل غرناطة عـامة وهو عيد العصيـر، الذى كان يقام عند جنى مـحصـول العنب وعـصـره، وهو المحـصـول الرئيس لأهل غـرناطة، فكان الأهالى

= أيام تسـاق الخراف من كل مكان إلى مـيادين تسـور بأخشـاب ثم يذهب الناس يوم منى إلى هذه الأسواق مزدحمين، يقـبلون الخراف ويساومون البائعين، يدفعون ثمن مـا اعتزموا شراءه وينادون الحمالين، فيـرفع الواحد منهم الخروف على عنقه ويمضى به إلى بيت المشـترى، أما من فاتهم الشراء لفقرهم فينتظرون يومًا تقام فيه (فى الحارات) حفر تشوط فيها رءوس الخراف ويقبل الفقراء على شرائها، صورة لا تزال موجودة إلى اليوم فى بلاد المغرب، انظر الأزجال السابقة، الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٧٩ ـ ص ٨٠.

(١) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١١٠.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٤١، بروفنسال: نخبة تاريخية فى أخبار البربر: ص ٣٦.

(٣) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤١.

(٤) Dozy: Supplement aux Dictionnaires Arabes, 11, P. 621

أحمد مختار العبادى: الأعياد فى مملكة غرناطة: ص ١٤٠، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، ابن بسام: الذخيرة: جـ ٤ قسم ١ ص ٤٧.

(٥) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤١ حاشية رقم ٢.

يغادرون ديارهم وينتقلون إلى حقول الكروم حيث يقيمون عدة أيام لجمع المحصول[١]، يقول ابن الخطيب: «وعادة أهل هذه المدينة، الانتقال إلى حلل العصير أوان إدراكه، بما تشتمل عليه دورهم والبروز إلى الفحوص بأولادهم معولين فى ذلك على شهامتهم وأسلحتهم»[٢].

يطلق الثور أو بقر الوحش كما يسميه ابن الخطيب، ثم تطلق عليه كلاب اللان المتوحشة[٣] فتأخذ فى نهش جسمه وأذنيه وتتعلق بهما فى صورة القرط من آذانهما[٤].

وهذا العمل التمهيدى كان الغرض منه هو الحد من قوة الثور وتهذيب حركته وهو ما يقوم مقامه اليوم عمل رماة السهام Banderilleros وطاعن الرمح Picador وذلك تمهيداً للقاء المصارع الذى كان فارسا مغواراً يصارع الثور وهو على فرسه المدرب ثم يقتله فى النهاية برمحه[٥].

وقد استخدم الخاصة من الناس الصيد متعة لهم ووسيلة من وسائل اللهو فكانوا يخرجون فى نزهات لصيد طير الباز وهو نوع من الصقور فاهتموا به وقاموا بإعداده وتربيته حتى أنه ينسب إليه ربض باسمه عرف باسم ربض البيازين[٦].

---

(١) العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس، مجلة عالم الفكر الكويتية، ص ١٠٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٨، اللمحة البدرية: ص ٤٠ «الفحوص» جمع فحص وهو المرج.

(٣) كلاب اللان وهى الكلاب المعروفة فى اللغة الانجليزية وواضح من اسمها أنها كلاب الثيران Bulldogs.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: لوحة ٤٤١ (نسخة الاسكوريال) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: نشر أحمد مختار العبادى ص ٦ حاشية ١، العبادى الأعياد فى مملكة غرناطة: ص ١٤٢.

(٥) العبادى: المصدر السابق: نفس الصفحة، ما زالت هذه اللعبة موجودة فى أسبانيا إلى اليوم وهو ما تشتهر به أسبانيا ضمن أماكنها السياحية فيأتيها السياح من كافة أنحاء العالم لمشاهدة آثارها ومناظر جنوب أسبانيا الخلابة، كان ذلك من رؤيتى الشخصية أثناء زيارة لى لأسبانيا سنة ١٩٨٢.

(٦) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤١، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٤ «هو من أكبر أرياض غرناطة ويقع فى شرق المدينة عن ربض البيازين انظر الباب الأول، العمرى: المصدر السابق، نفس الصفحة، القلقشندى: المصدر السابق نفس الصفحة.

ب أما الموسيقى والغناء فكانت تمثل عنصرًا هامًا فى الحياة الاجتماعية لإقليم غرناطة، فكان أهل غرناطة يعشقون الموسيقى ويميلون إليها[١]، يقول ابن الخطيب: «والغناء مدينتهم فاشى، حتى فى الدكاكين التى تجمع صنائعها كثيرًا من الأحداث كالخفافين[٢] ومثلهم[٣]».

هذا وقد برع أهل الأندلس فى العزف على كثير من الآلات الموسيقية وعلى الأخص القيثارة والدف والمزمار والطبلة والعود[٤]، بالإضافة إلى الآلات الوترية وهى كلها جوفاء والربط والرباب والقانون[٥]، ويذكر ليفى بروفنسال أن الفرقة الموسيقية تتكون من المغنى تصحبه فرقة فيها عواد أو زامر وطبلة صغيرة وصاجات فيبدأ المغنى بالغناء ثم يردد الحاضرون[٦] وراءه بعض المقاطع.

ومن أشهر الموسيقيين فى غرناطة أبو الحسن على بن الحمارة[٧] وهو ممن برعوا فى علم الألحان وعلمها واشتهر عنه «أنه كان يعمد للشعراء[٨] فيقطع العود بيده، ثم يصنع منه هودا للغناء، وينظم الشعر ويلحنه ويغنى به»[٩].

وكان المذهب المالكى من أشد المذاهب الفقهية تشددا فى منع وتحريم الآلات الموسيقية[١٠].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧، اللمحة البدرية: ص ٣٨ ـ ص ٣٩.

(٢) الخفافين: هم الذين يصنعون الخفاف ـ جمع خف، الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧ هامش رقم ٤.

(٣) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٤) جمال محرز: الرسوم الجدارية الإسلامية فى البرطل بالحمراء: ص ٣١.

(٥) ابن خلدون: المقدمة: ص ٣٥٣.

(٦) بروفنسال: محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها: ص ٢٤، ترجمة عبد الهادى شعيرة، ما زالت هذه الطريقة فى الغناء موجودة فى أسبانيا حتى الآن فغناؤهم شرقى أقرب إلى الشرق من الغرب وقد شاهدت هذه الحفلات وطريقة الغناء أثناء رحلة إلى أسبانيا.

(٧) ترجم له الضبى فى البغية ص ٥١٧ وقال شاعر أديب مجيد خبيث الهجاء ص ٥١٧، المقرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ١٤٠، ابن دحية: المطرب: ص ١٠٩.

(٨) الشعراء: الروضة ذات الشجر، والأرض كثيرة الشجر، ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ١٢٠ هامش ١.

(٩) ابن سعيد: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة.

(١٠) يحيى بن عمر (أحكام السوق) تحقيق محمود على مكى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، العدد ١ ـ ٢ مجلد ٤ ص ١١٩ هامش ٢.

فيرى ابن عبد الرءوف «أنه يجب أن يمنع اللهو كله على أنواعه فى الأعراس كالعود وغيره، إلا ما كان من الدف العربى الذى هو شبه الغربال خاصة وإن اختلف فى الكبر[١]».

وحافظت غرناطة على التراث الموسيقى الأندلسى حينما انحسر ملك المسلمين فيها، فيذكر ابن خلدون أن غرناطة أخذت تصدر الموسيقى الأندلسية إلى بلاد المغرب[٢].

وفى تونس يوجد إلى اليوم لون من الغناء الشعبى التونسى يعرف باسم لحن غرناطة[٣].

(١) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل: ص ٨٣.

(٢) ابن خلدون: المقدمة: ص ٤٠٢، ص ٤٢٨.

الموسيقى الأندلسية الموجودة الآن فى بلاد المغرب ما هى إلا رواسب موسيقى ورياب القديمة، انظر العبادى: الأعياد فى مملكة غرناطة: ص ١٤٥.

J. Rifers: La Musica de las Caantigs, P. 57.

(٣) العبادى: الأعياد فى غرناطة: ص ١٤٥.

الخـاتمـة

يقع إقليم غرناطة فى الجزء الجنوبى من شبه الجـزيرة الأيبرية، ويحدها شمالاً ولايات جيان وقرطبة وأشبيلية ومن الشرق ولاية مرسية ومن الغرب ولاية قادس وأرض إنتقيرة.

وكانت غرناطة تشتمل على ثلاث ولايات، غـرناطة العاصمة وتقع فى وسط الإقليم، ومـدينة مالقـة وتقع على السـاحل الجنوبى الشـرقى لبـلاد الأندلس، والمـرية وتقع على الساحل الشرقى للأندلس بين إمارتى مالقة ومرسية.

كانت غرناطة حـين افتتح العرب بلاد الأندلس ـ مـدينة صغيرة من أعمـال ولاية إلبيرة وقد سـقطت غرناطة فى أيدى العرب عـقب انتصارهم على القـوط فى موقعـة شريش فى رمضان سنة ٩٢ هـ / ٧٧١ م

وقد ازدهرت مدينة إلبيرة فى عهد الخلافة وأصبحت عاصمة الولاية، واستمرت كذلك حتى انهارت الخلافة الأموية فى الأندلس واستولى رعماء البربر على معظم قواعد الأندلس الجنوبية، فاتخـذ بنو زيرى غرناطة عاصمة لهم، ثم حـدث بعد ذلك أن تدهورت الأحوال السياسيـة فى الأندلس منذ عهد ملوك الطوائف وبدأت الجبهة النصرانيـة توجه الصراع ضد المسلمين وعجز ملوك الطوائف عن صد عـدوان النصارى، فسقطت طليطلة إحدى قواعد الأندلس الكبيرة فى يد ألفونسو السادس وذلك سنة ٤٧٨ هـ ـ ١٠٨٥ م.

وكـان للنكبـة التى حلت بطلـيطلة أثر على المـسلمـين فى الأندلس، وشـعـر ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتـمد بن عباد بخطورة الوضع فلجئوا إلى الاسـتعانة بالمرابطين وذلك منذ ٤٦٧ هـ ـ ١٠٧٤ م، فاسـتجاب يوسف بن تاشفـين أمير دولة المرابطيـن وعبر إلى الأندلس ثم ما لبث أن انتصر على جـيوش النصارى الأسبان بقيادة ألفونـسو فى معركة الزلاقة فى شهر رجب سنـة ٤٧٩ هـ ـ ١٠٨٦ م ومنذ ذلك الوقت بدأ المرابطون يتطلعون للاسـتيـلاء على الأندلس خـاصة بعـد أن وقفـوا على أحـواله وعلى مدى ضـعف ملوك الطوائف وتفككهم، فاسـتبدت بيـوسف بن تاشفين فكرة الاسـتيلاء على البلاد الأندلسـية ووضع حد لأطماع النصارى.

ولقد ساعد يوسف بن تاشفين على الاستيلاء على الأندلس أن أغلب الشعب الأندلسى كان يتشوق للخلاص من حكم ملوك الطوائف بعد أن أثقلت المغارم والضرائب كاهلهم، كذلك شجع فقهاء المغرب والأندلس والمشرق أيضًا يوسف بن تاشفين على خلع ملوك الطوائف، فخرج يوسف بن تاشفين غازيًا لبلادهم وتمكن من الاستيلاء على مالقة وغرناطة ثم على باقى البلاد الأندلسية وعزل جميع ملوك الطوائف ما عدا بنى هود.

ومنذ ذلك الحين أصبحت غرناطة شأنها شأن الولايات الأندلسية تابعة للحكومة المركزية فى مراكش وزاد تدفق البربر على إقليمها.

ولقد أمضى المرابطون أغلب فترة حكمهم للأندلس فى جهاد مستمر ضد القوى النصرانية، ولكن لما بدأ الضعف يسرى فى جسم الدولة المرابطية وظهر الموحدون فى المغرب وتنكر الأندلسيون لهم واشتد ضعف النصارى على الأندلس، فقاموا بهجمات متتالية على ممتلكات المسلمين وتوالت على الجيوش المرابطية الهزائم المتتالية.

ففقدوا ثقة الناس وتحرج موقفهم وكانت هزائمهم فى الأندلس ممهدة فعلاً لأمر الموحدين بالمغرب الذين كانوا سببًا مباشرًا فى سقوط دولة المرابطين.

وقد كانت هذه الحركة على قدر كبير من الإحكام والتنظيم مما كفل لها الاستمرار إلى أن سقطت الدولة المرابطية وقامت على أنقاضها الدولة الموحدية ومؤسس هذه الدولة عبد المؤمن بن على الذى خلف داعية الموحدين محمد بن تومرت، وقد واصل عبد المؤمن جهادة ضد الدولة المرابطية، فتمكن من فتح وهران وتلمسان سنة ٥٣٩ هـ ـ ١١٤٤ م وسقطت مدينة فاس فى أيدى الموحدين سنة ٥٤٠ هـ ـ ١١٤٥ م وبعد سقوط فاس أخذت القبائل تتوافد عليه كما أن عددًا من المدن بعثت إليه بولائها، وبعد ذلك ضيق الموحدون الحصار على مراكش الذى استمر تسعة أشهر واقتحم الموحدون المدينة وبذا تكون الدولة المرابطية قد سقطت نهائيًا فى المغرب ولكنها ظلت باقية بعض الوقت فى الأندلس، وأستطاع الموحدون بعد ذلك الاستيلاء على الأندلس.

وكانت الأندلس أيام المرابطين تضم ست مقاطعات: هى أشبيلية وغرناطة وقرطبة وسرقسطة وبلنسية ومرسية.

هذا وقد كانت البلاد الأندلسية تعتبر خلال العصر الموحدى، مثلما كانت عليه فى العهد المرابطى قطرًا من أقطار الدولة الموحدية وكانت تنقسم إلى عدة ولايات، هى ولاية الغرب، شلب وأحوازها بالإضافة إلى شنترين وأشبيلية وأحوازها وقرطبة وأحوازها وجيان وأحوازها وغرناطة وأحوازها والمرية وأحوازها وبلنسية والجزيرة، والجزئرة الشرقية قبل أن يستقل بها بنو غانية ومرسية وأعمالها.

وهكذا كانت أقاليم الأندلس خاضعة للحكومة المرابطية ثم الموحدية وفق سياسة منظمة، ومنذ عهد المرابطين وخلال عصر الموحدين ازدهر إقليم غرناطة كثيرًا ونما نموًا سريعًا وغدت له أهمية كبيرة بين أقاليم الأندلس وبرزت سماته الخاصة.

وغرناطة مدينة مستديرة الشكل تقع على سفح جبل شلير.

ويصف المؤرخ توروس بلباس غرناطة بأنها تشبه باقى المدن الأسبانية الإسلامية ـ بشوارعها الضيقة وميادينها القليلة الصغيرة ـ كما احتوت على أربعة أرباض كبرى.

وأول ما تلحظه فى غرناطة الأسوار التى كانت تحيط بالمدينة، أما الأبواب فكان للمدينة ثلاثة عشر بابًا.

امتازت غرناطة ـ شأنها شأن باقى المدن الأندلسية ـ بشوارعها الضيقة الملتوية وأزقتها المغلقة وميادينها القليلة.

أما عن نظام المنزل، فإنه لم يختلف عن نظام المنزل الإسلامى ذى الطراز المميز، فقد جرت العادة على أن يؤدى بابه إلى دهليز يتناسب مع حجم المنزل ويفضى هذا الدهليز إلى صحن المنزل الذى تلتف حوله الغرف.

وإلى جانب الدور والمنازل التى سكنتها العامة كانت توجد القصور الفخمة، التى حفلت بها غرناطة.

أما المتنزهات، فقد انتشرت فى غرناطة وأقاليمها المتنزهات والحدائق التى اتخذها الناس مكانًا للنزهة وللترويح عن النفس.

هذا ويعتبر المسجد من أهم العمائر فى المدن الإسلامية، لذا فقد أصبح بحكم أهميته الدينية والتعليمية من أهم المعالم الإسلامية.

أما الحمامات فقد كانت لها أهمية كبرى فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس، وقد اشتهرت غرناطة بكثرة حماماتها، وكان الماء يجلب إليها من نهر حدرة الذى يشق المدينة، كما كثرت الحمامات أيضًا فى إقليم غرناطة مثل وادى آش ومالقة.

أما المقابر فكانت تقع خارج المدينة بجوار باب إلبيرة.

أما القناطر فقد أقامها أهل غرناطة على الأنهار الموجودة فى غرناطة مثل نهر شنيل وحدرة ويوجد بغرناطة خمس قناطر.

هذا وقد تقدمت الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة خلال عصر المرابطين والموحدين على أثر ما أبداه المرابطون وخلفاؤهم الموحدون من حرص على النهوض بالمغرب والأندلس فى شتى المجالات، فزاد الإنتاج الزراعى والصناعى والتجارى وتدفقت الأموال وارتفع الدخل العام للبلاد.

وقد شهد إقليم غرناطة تقدمًا كبيرًا فى النشاط الاقتصادى بسبب طبيعة الإقليم ذاته وما تميز به من خصوبة أراضيه وكثرة أنهاره التى ساعدت على قيام زراعة ناجحة فى قرى ومدن الإقليم، بالإضافة إلى وفرة المادة الخام، فقامت صناعات كثيرة وازدهرت، هذا إلى جانب شبكة الطرق البرية والبحرية التى ربطت قرى إقليم غرناطة ومدنه، بعضها ببعض، كما ربطت الإقليم، بسائر أقاليم الأندلس، إلى جانب الطرق التى ربطت بين إقليم غرناطة والعالم الخارجى.

ففى مجال الزراعة تمتع إقليم غرناطة، كما سبق أن ذكرت بسطح متميز وتربة خصبة وأنهار متعددة ساعدت على ازدهار الزراعة وقد توفرت لإقليم غرناطة أيضًا المادة الخام التى ساعدت على أزدهار الصناعة فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين.

فقامت عدة صناعات أهمها صناعة النسيج وصناعة السفن وصناعة بعض الأدوات من النحاس والحديد، بالإضافة إلى عدة صناعات أخرى.

وقد اشتهر إقليم غرناطة بإنتاجه الوفير من المعادن مثل الذهب والفضة والحديد والرصاص والنحاس وإلى جانب العوامل الطبيعية السابقة، التى تمتع بها إقليم غرناطة وساعدت على ازدهار كل من الزراعة والصناعة كان للطرق التجارية أثر فى إنعاش حركة

التجارة الداخليـة والخارجية، فـقد تمتع إقليم غرناطة بشـبكة من الطرق البرية ربطت بين مدن الإقليم داخليّـا وخارجيًا بالإضـافة إلى الطرق البحـرية، وكثرة موانى الإقليم كـالمرية والمنكب ومالقة، التى كانت تخـرج منها الأساطيل التجارية محملة بالبضـائع آتية إليها بما تحتاجه البلاد فانتعشت التجارة الداخلية والخارجية.

وهكذا كان للعوامل الطبيعية أكبر الأثر فى إنعاش الاقتصاد وتقدمه فى إقليم غرناطة.

أما العوامل السياسية، فقـد لعبت هى الأخرى دورًا هامّا فى ازدهار الاقتصاد فى بلاد المـغرب والأندلس عـامـة وإقليم غرناطة خـاصـة، فقـد أثرت سيـاسـة أمراء المـرابطين والمـوحدين فى ازدهار النشـاط الاقـتصـادى سواء فى الزراعـة أو الصناعـة أو التجـارة، فأسهـموا فى رفع مستوى الإنتـاج فى البلاد سواء فى المغـرب أو الأندلس، فوفروا الأمن والطمأنينة للسكان وقضوا على الفتن والحـروب ونقلوا الصراع إلى أرض نصارى أسبانيا، ووفروا لرعاياهم قدرًا كبيرًا من الأمان، وبالأمن والاستقرار الذى أشاعه المرابطون استطاع السكان استثمار الأرض ومضاعفة الإنتاج الزراعى.

وكان المزارعون هم أكثر الناس تضررًا بالاضطرابات والحروب الداخلية المستمرة قبل عهد المرابطين، فـإذا نشبت حرب بين أميرين فإن من الوسائل المتـبعة ضد الطرف الآخر حرق المزارع وتخريب البساتين.

وكذلك كـان نصارى أسـبانيا إذا أغـاروا على البلاد الإسلامـية لا يتـرددوا فى إحراق البساتين وإتلاف الزروع.

وما حدث للزراعة، حدث للتجارة، فقد استطاعت دولة المرابطين بعد أن نجحت فى التوحيد بين أقاليم المغرب والأندلس أن تقر الأمن والسكينة فى ربوعه كما سبق أن ذكرنا، فـفى العصـر المـرابطى الأول، قـبل معـركـة أقليش (سنة ٥٠١ هـ ـ ١١٠٨ م) اسـتطاع المرابطون أن يحفظوا الأمن وأن يقروا السكينة، فسهروا على حماية الطرق وتأمين مسالكها وضبط الثغور وذلك بنقل الصراع إلى مناطق أسبانيا وبناء القلاع والحصون والأسوار حول المدن، مثل المرية وغرناطة وتشييد الراباطـات والمحارس الساحلية فى غرناطة وغيرها من المدن الساحلية سواء فى بلاد المغرب أو الأندلس وذلك لحمايتها من الغارات البحرية التى كان يقوم بها الأعداء، فأمن المرابطون بأسطولهم البحرى حركة النقل فى البحر.

ولما قامت الدولة الموحدية، أولى الموحدون النشـا الاقتصادى عناية خاصة وحاولوا توفيـر الأمن والاستـقرار لأهل البلاد، فنقلوا الـصراع كذلك إلى مناطق نصـارى أسبـانيا وبذلوا جهودًا كبيرة فى إقامة الحصـون حماية للمزارع، ومع كل جهود الموحدين هذه فى حماية الأندلس بما فيها إقليم غرناطة ظل نصارى أسبانيا يوجهون اعتداءات مستمرة إلى كل بلاد الأندلس، ولذلك حرص الموحـدون على عقد الصلح مع نصارى أسبانـيا، رغبة فى تحسـين النشـاط الاقتصـادى وتحقـيق الأمن للسكان حـتى يستطيـعوا ممـارسة أنشطـتهم الاقتصادية المختلفة دون خوف من سلب أو نهب أو حرق لزروع ونسف لبساتين فازدهرت الزراعة فى المناطق الجنوبيـة مثل غرناطة ومالقـة والمرية، كذلك اهتـموا اهتمامًا عـظيمًا بالأسـاطيل، فلقد وجـه عبـد المؤمن بن على عنايتـه نحو إنشـاء وتعمـير المـراسى ودور الصناعة المنتشرة على طول السواحل المغربية والأندلسية، فاستطاع أن ينشئ أقوى أسطول فى البحر المتوسط.

هذا ولم تقتصر مـهمة الاسطول الموحدى منذ عصر عبـد المؤمن بن على على جهاد نصارى أسبانيا، بل أخـد على عاتقه أيضًا مهمة قمع حركة الـقرصنة التى كانت منتشرة بين المسيحين والمسلمين على السواء.

كذلك كانت سياسة الموحدين البحرية، تقوم على مبدأ احترام نواميس التجارة الدولية وضمان السلام والطمأنينة فى البحار.

وبعد ضم إقليم غرناطة إلى الدولة الموحدية عام ٥٥٧ هـ قام الخليفة عبد المؤمن بن على بتنشيط حركة التجارة فى إقليم غرناطة.

كذلك قطع الخليـفة عبـد المؤمن بن على جمـيع المغارم والقـبالات والمكوس التى فـرضهـا المـرابطون من قبل، كـذلك اهتم الخلفـاء المـوحدون بالتـجـار والصناع وأمناء الأسواق.

وهكذا تضافرت هذه العوامل مجتمعـة على ازدهار الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة وزيادة الإنتاج سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة.

ورافق هذا الازدهار الاقـتـصادى تحـول كـبيـر من حـياة سكان الـمغـرب والأندلس

الاجتماعية بالإضافة إلى أن البربر من سكـان البلاد سواء فى المغرب أو الأندلس، اكتسبوا العلوم والمعارف والخبرات الفنية وأصبح كثـير منهم يمتهن مهنًا لم يألفها من قبل ومن ثم ظهرت النفرة والعداوة بين البربر والأندلسيين ولكن هذا لم يمنع الأندلسيين من اضطرارهم إلى التعامل والتعايش مع هذه الطبقة الجديدة بل تسابقوا لخدمتها وهجروا أوطانهم وذويهم إلى بلاد المغرب مركز الحكم والسلطان حفاظًـا على أموالهم ومكاسبهم ومراكزهم أو طلبا للمزيد.

ولقد بلغ من كثرة عـدد المسافرين من مدينة غرناطة أن سمى أحد أرباضـها الخارجية باسم حـوز الوداع، وهو المكان الذى اعـتاد فـيـه الغرناطيـون توديع أهلهم وذويهم قـبل رحيلهم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سبب ازدهار البـلاد المغربية والأندلسية اقتصـاديًا وتفوقهما السياسى أمران بدأهما المرابطون وأتمهما الموحدون.

واستعراض النشاط الاقتصادى فى هذ البحث يوضح مجهودات المرابطين والموحدين فى هذا المجـال ومن التعـصب والتجنى أن نقـول أن المرابطين والموحـدين بخشـونتهم وسياستهم كانوا السبب فى انهيـار الحضارة الأندلسية، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الأندلسيين أنفسهم كانوا سببًا رئيسيًا فى انهيار الحضارة الأندلسية وكان المنتظر من هؤلاء الأندلسيين أن يعيـشوا فى الأندلس فى تآلف تـحت ظل الدولة الإسلاميـة لكنهم لم يتخـلصوا من روح التعصب، وشهـد القرن الخامس والسادس والسابع الهـجرى صراعًا اجتماعـيًا بين العناصر الاجتماعيـة المختلفة التى لم تنصهر ولم تتجانس، أضف إلى ذلك طبيـعة البلاد الأندلسية بجبالـها ومجاورتها للنـصارى فإنها تساعـد الثوار باستمـرار، أضف إلى ذلك ضعف الروح العربية فقد اختفت العناصر العربية وحلت محلها العناصر الأندلسية وهم الجيل المهجن من آباء عرب وأمهات أسبانيات ذلك التهجين أفقد الأندلسيين حماسهم لأصالة عروبتهم ولغتهم العربية التـى بدأت هى الأخرى تنهزم أمام اللكنة العـامية، والسلطة الحاكمـة من البربر لم تتحمس لإصلاح الانهيار الاجتماعى الذى كـان يدب فى جسم البلاد الأندلسية وسرعان ما اغمسوا هم أنفسهم فى الترف وانصرفوا إلى الدعة واللهـو ومحاكاة الأندلسيين فى معيشتهم وطريقة خياتهم.

وغدت المرأة فى المـجتمع الغرناطى أول المتـأثرين، فتأثرت بالأسبـانيات وقلدتها فى كثير من عاداتها وأخلاقياتها، كما كثرت البدع والخرافات فى حياة المجتمع الذى اعتمد فى مظاهر حياته على الترف والبذخ، وشهدت الأندلس الكثير من الأمراض الاجتماعية وخاصة ما شاع من الغناء واللهو وعكوف الناس على الملذات فانغمسوا فى شرب الخمر التى كانت منتشـرة بين جميع فـئات المجـتمع أضف إلى ذلك الانحـلال الاجتمـاعى الذى سرى فى المجتمع الأندلسى وأدى فى النهاية إلى ضياع الأندلس الاسلامية.

الملاحق

ملحـق (١)

هذه رسالة موجهة من على بن يوسف من محلته بظاهر قرطبة خلال إحدى الزيارات، وهى عبارة عن وصية من السلطان لرعيته:

«كتـابنا أبقاكم الله وسلمـكم، وتولاكم وأكرمكم، ووقـاكم الأسواء وعصـمكم، من محلتنا يمنهـا الله بظاهر قرطبة ـ حرسهـا الله ـ فى يوم كذا من شهر كذا عـام كذا، ويتأدى إليكم من قـبل واليكم وخليـفتنا فـيكم أبى فلان أبقـاه الله، وهو النائب عنا فى تدبيـركم وإقامة أموركم، وسيـاسة صغيركم وكبيركم، ليس لأحـد معه فى ذلك بد، ولا مصدر ولا مورد، ولا مـقام ولا مقـعد، قد فـوضنا إليه فى ذلك كله، وأفردنا الـنظر فى دقه وجله، وكـثرة وقلة، وحكمناه فى جـميعكم، يثـيب من استـحق الثواب، ويعـاقب من استـحق العقـاب، ويكرم أهل الإحسان، ويهين من أسـاء أشد الهوان، ويتـمسك منكم بمن أراد، ويسـرح من رأى تسريحـه، ويبعـد من كان سـبيله الإبعـاد، وما فـعل من ذلك كله فنحن فعلناه، وما قال فيه فكأنا نحن قلناه، ولا نوقف ما أمضيناه، ولا نمضى ما وقفه وأباه، ولا نرى فى أحد منـكم إلا ما يراه، ولا نتولاه ـ كـائنًا ما كان ـ إلا أن يـتولاه، ولا نرضى من أقواله ما لا يرضاه، بلساننا يتكلم، وعما فى جناننا يترجم، وعلى ما يوافقنا يسدى ويلحم، وإلى ما يرضينا يمضى ويتقدم، فاسمعـوا وأطيعوه ولا تخالفوه، فلن يعدو وجه القصد ولا تعصوه، ولا تألوه انقيادًا وطاعة، ولا تدخروا عنه فيمـا يستعملكم فيه جهدًا ولا استطاعة، وإياكم والخوض فى أمر جعلنـاه إليه، واحذروا من تعقب ما صغر أو كـبر عليه، واضربوا عنه، ودعوا ما لا يعنيكم منه، وليرشد خياركم شراركم، وليبصر كباركم صغاركم، وحسبنا هذا إنذارًا لكم، وإنذرًا إليكم، ولا عذر بعد، ولا يلم من تعدى إلا نفسه، وبالله التوفيق، والسلام عليكم[1].

---

(١) انظر: محمـود على مكى: وثائق تاريخية جديـدة عن عصر المرابطين، صحـيفة معـهد الدراسات الإسلامية ـ مدريد ـ المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩هـ ـ سنه ١٩٥٩م.

ملحق (٢)

هذه رسالة موجهة من على بن يوسف من مراكش إلى أحد عماله، يأمره أن يستشير أحد الفقهاء فى مختلف أمور الحكم:

«كتابنا أطال الله فى طاعته مدتك، وأدام بتقواه حرمتك، وأفاض نعمتك، وتولى توفيقك وعصمتك، من حضرة مراكش حرسها الله، وقد علمت محل ذى الوزارتين الأجل الفقيه الأفضل ولينا أيده الله بتقواه من صدق ولايتنا، ومكانه من حسن رعايتنا، وأنه ممن يستشفى برأيه، ويهتدى بهديه، ويستثمر النجح من سعيه، ويتعرف السداد فى رأيه، فينبغى لك أن تشاوره فى كل ما تأتى وتذر، وتورد وتصدر، وتقدم وتؤخر، فلن تعدم منه مشيراً نصيحًا، فامتثل فى ذلك عهدنا، ولا تتعدَّ فيه حدنا، وتوخَّ معه من مصالح البلد ما يحسن موقعه عندنا، ويقتضى شكرنا وحمدنا، إن شاء الله، والسلام[1].

(١) انظر: محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ـ مدريد ـ المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩هـ ـ سنه ١٩٥٩م ص ١٧٧.

ملحـــق (٣)

رسالة موجَّهة من على بن يوسف إلى قاضى مالقه[١] فى ٥ ذى الحجة سنه ٥٢٣هـ.

(كتابنا كـتب الله أعمالك مبرورة، ومـساعيك مشكورة، وعـرَّفك الآلاء موفورة، من حضرة مراكش، حرسها الله، لخمس بقين من ذى الـحجة سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، وان من رتب من الأمر حيث رتبت، وحسب من القيام بالمهـمات حيث حسبت، لم يسعه أن ينام عن قضـية تجرى ببلده، ولا أن تدركه غفـلة عن تفقد ما تحت يده، وقـد تجمعت الآن بهذه الحـضرة عصـائب الشاكين، وكـثرت أرفاع المـتظلمين، وكـان من أمورهم بيِّن ومشكل، (١٧٨) وفـيهم مـحق ومبطل، فلم يخل مـا كانوا يجيـئون به من قـول مزور، وباطل فى صورة الحق مـصور، وعندما التبس الكذب من ذلك بالصـدق، والتف المبطل بالمحق صددنا أرفاعهم عن الحصوص، وصرفنا دونها وجه القبول، وأوعزنا الى جماعتهم لما خفناه من تلبـيسهم فى الأمور، وشوبهم المباح بالمـحذور، بأنَّا لا ننظر لأحد منهم فى حق يدعيه، ولا أمر يوجـبه أو ينفيه، إلا بعد أن يأتى ببيان مـن قاضى بلده، وكتاب ينطق عن صحة ما بيده، فانصرفـوا وفى نفوسنا ـ علم الله ـ من قبلهم ما يشق حمله، ولا يخف مثله، فإنه لا يمكن إلا أن يكون فيهم الصـادق البر، والرجل المضطر، لكن الخير أردنا، والبر قصدنا، ولما كان هذا وجب أن نلتمس لأمورهم وجهًا يتوصل به إلى معرفة الصحيح من السـقيم، والمعـوج من القويم، فـوكلنا ذلك الى قضـاة البلدان، وألزمناهم القـيام به والفحص عنه مع الأعيان، لأن موضوع القضاء إنمـا هو لرفع المشكلات، وتمييز الحقائق من المتشابهات، والفصل بعـد التبرم فى الدعاوى والمنازعات، ومع هذا فنقول: إن هؤلاء الرافعين لو وجدوا فى بلادهم اشكاء، وألفوا عند مـتقلدى الأمور لرد ظلاماتهم وفاء، لما تجشموا إلينا بعد الشقة، ولا تحملوا نحـونا عظيم المشقة، ولولا أنَّا نخليهم من التعسف، وسوء التكلف، لشددنا فى جـهة القضاء عارضة الكلام، ولثقلنا عـليهم وطأة الملام، وقد قلدناك تقليدًا تامًا أن تنظر بجهتك من شكاوى العـامة فى اللطيف والجليل، وسمناك القيام

(١) ابن محمد عبد الله بن أحمد بن عمر الـقيسى المالقى، ولد سنه ٤٥٦هـ وتولى قضاء مالقة وكانت وفاته سنه ٥٤٢هـ.

بالخفيف منها والثقيل، فتفقد مـا قبلك حق تفقده (٧٨ب) وتعهده أحفى تعهده، فإنك إذا أمعنت التطلع، وأدمنت إلى جـانب الرعية التلفت والتسمع، لم تشـذ عن علمك ما يجرى ببلدك لاجتماعه وانحصاره، وتقارب ما بين مسافاته وأقطاره، وإن حقًا على الجار أن يفرج ضغطة جاره، فاستكشف ـ وفقك الله ـ الأحوال وتعرَّف صورَها، واستعلم مع الرعية شأن الرعية وخـبرها، فكل ما رفعـته إليك من أحوالها، وتظلمت فـيه من عمَّالهـا، أجريته مع الحق كيف جـرى، وعممت بالنظر، ولم تخص قضـية دون أخرى، فكلٌّ بك مـعصوب، وأنت عنه محاسب وبه مطلوب، ومدار هذا الأمر اختيار الحكام الذين استنبتهم فى أقطارك القاصية، ونصبـتهم فى الجهات النائية، فشرطهم الثقـة والديانة، والصون والأمانة، فإنهم إذا كانوا بهـذه الصفة جـرت أمورهم على سبـيلها القـاصد، وسيـرها الراشد، وأمنت فى جهات الرعـية والأحكام، وأمنَّا بك فيها من اللبس والمـداخلة مع الأيام، فلا تقلد عملك إلا معروفًا بلطف النفس والعفاف، ونقـيًا يقنع بالكفاف، ويتنزه عن الإسفاف، ويحفَّظ من كل منهمـوم لا يشبع، ومسف لا يتورع، فـالحريص أصم أعمى لا يرى ولا يسـمع، وبعد توليك إياهم فأشرف عليهم إشرافًا يتـعقب أحوالهم، فمن رأيت منه جنفًا، أو نقص عليك من أطراف الحق طرفًا، صـرفته مذمـومًا، وأخرته ملومًا، فـتفقد هذا من أمـورهم، فإنك مضطر إليه فى الديانة، وفـيما يباشرونه من أمـور الرعية التى لا ترضى بهضمـها، ولا تقرُّ أحدًا عـلى ظلمهـا، ومما نعيـده (١٧٩) وتتقـدم إليك فيـه أمر اللوازم الجـارية هناك أن تتصفحهـا وتلمحها، فما لم يكن منها فى عهودنا مـوجودًا، ولا من قبلنا محدودًا، ولا فى مصالح المسلمين معدودًا، فـهو رد على كل وال رسمه، ومصروف على كل من ألزمه، لا يؤدى منه نقيـر، ولا يحمل منه فتـيل، وأى عامل من عمال الـرعية قامت الشـهادة عندك بتعديه، وعلمـت صحة استهـدافه وتصديه، فإنه أمره إلى صـاحب البلد مستعـمله ومولیه وأشعره بما ثبت عندك فـيه، فإن غل يد أذيته، وأنفذ عزله عن رعيـته، وإلا فأخفف ذلك إلينا فى سائر مـا يتوقف لديك من الأمور التى تقصـر عنها يدك، وتنقطع دون النفوذ فـيها غايتك وأمدك، لينفذ من عندنا ما يقف منازعك عنده، ويـسهل لك كل صعب بعده، ومما تتفقده من أحوال الرعية ما يؤخـذ به الحاضر عن الغائب، ويطلب به الباقى بعد الذاهب، فهـذا الصنف أيضًا من الظلامات تبطله وترد حكمـه، وتعفى أثره ورسمه، وأمـر الزكوات

على تباينها فى الصفة، وأنواعها المختلفة، تجرى على موجب فريضتها، وتوقف على حد شريعتهـا، لا تحرف ولا تبدل، ولا تصرف عن جهتها ولا تعـدل، هذه ـ أعزك الله ـ أمثال مضـروبة، وهدايات منصوبة، وقوانين مـوضوعة، وأعـلام على طرق الحق مرفوعـة، قد تبرأنا إليك من وزرها، وتخـففنا بإسنادها إلى نظرك من إصرها، وفى أكثـرها كانت الأرفاع ترد، وعصائب المتظلمين تحـتشد، وأنت إذا كشفت غيبها ونفضت طرقـها، وأعطيتها من بحثك (٧٩ب) وتأملك حقها، ارتفعت الشـبهة، وانزاحت العلة، وتوفرت على المسلمين الرحلة، وهدأت الرعية وتفـرغت لأشغالها، ولزمت صالح أعمالهـا، فانظر فى هذه الأمثلة والجمل إلى أقصى ما ينقسم إليه أقسامها، وقفها على حد ما تقف عليه الشريعة وأحكامها، واكفنا ما استكفيناك، وانهض نهوض المسـتقبل بما حمَّلناك، وأى عذر لك وقد شددنا من أزرك، وعضـدنا من أمرك، وإن تطلَّعنا لوكـيد لمـا نجدده عندك من النفـوذ، هذه الوصايا الجامعة، والحجة المبالغة، وستبلغنا الأنهاء، ويتصل بنا الثناء، وبعد ذلك الثواب والجزاء، لا إله غـيره، والسـلام، أعزك الله ليـقرأ الكتـاب على الكافة بالـمسـجد، فـإن فيـه زجرًا للمعتدين، وأخذا فوق أيدى المسفـدين، وبلاغًا يحمله ويصيره الراكب ويتلقاه عن الشاهد الغائب إن شاء الله تعالى[1].

(١) انظر: محمـود على مكى: وثائق تاريخية جديـدة عن عصر المرابطين، صحـيفة معـهد الدراسات الإسلامية ـ مدريد ـ المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩هـ ـ سنه ١٩٥٩م ص ١٧٠ - ١٧٤.

ملحـــق (٤)

رسالة كتب بها قاضى سرقسطة والجمهور فيها إلى الأمير أبى الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين حين حاصرها ابن رذمير وأستغلبها أعادها الله

من ملتـزمى طاعة سلطـانه ومسـتنجديه علـى أعداء الله ثابت بن عـبد الله وجـماعـة سرقسطة من الجمهور فيها من عباد الله.

أطال الله بقاء الأمـير الأجل، الرفيع القـدر والمحل لحرم الإسـلام يمنعه...[1] من كرب عظيم على المسلمين يزيحه عنهم ويدفعه.

كتابنا أيدك الله بتقواه، ووفقك لاشتـراء دار حسناء، بمجاهدة عداه يوم الثلاثاء السابع عشر من الشـهر المبارك شـعبان، عن حال قد عظم بلاؤها وأدلهـمت ضراؤها، فنحن فى كرب عظيم وجهد أليم قد جل العزاء وعظم الخطب، وأظلنا الهلاك والعطب، فياغوثاه! ثم ياغوثاه! إلى الله دعوة...[2] دعاه وأمله لدفع الضر ورجاه سبـحانه المرجو عند الشدائد، الجميل الكرم والعوائد، وبالله ويا للسلام! لقد انتـهك حماه، وفضت عراه! وبلغ المأمول من بغيتـه عداه، ويا حسرتاه على حضرة قـد أشفت على شفى الهلاك طالما عـمر بالإيمان وازدهرن بإقامـة الصلوات، وتلاوة القرآن، ترجع مراتع للـصلبان، ومشاهد ذمـيمة لعـبدة الأوثان، وياويلاه على مسـجد جامعـها المكرم! وقد كـان مأنوسًا بتلاوة القـرآن المعظم، تطؤه الكفرة الفـساق بذميم أقـدامها، ويؤملون أن يدنسـوه بقبيح آثامـها، ويعمروه بعـبادة أصنامها، ويتـخذوه معاطن لخنازيرها ومواطن لخـماراتها ومواخيـرها، ثم يا حسرتاه! على نسوة مكنونـات عذارى، يعدن فى أوثان الأسـارى، وعلى رجال أصبـحوا حـيارى بل هم سكارى ومـا هم بسكارى، ولكن الكرب الذى دهمـهم شديد والضـر الذى مسـهم عظيم جـهيـد، من حذرهم على بنـيات ـ كن من السـتر بخـيـار الوجوه ـ أن يروا فـيهن السـوء

(١) ناقصة فى الأصل.

(٢) ناقصة والغالب أنها (مؤمن).

والمكروه، وقد كن لا يبدون للنظار، فالآن حان أن يبرزن إلى الكفار، وعلى صبية أصفال قد كانوا نشئوا فى حجور الإيمان، يصيرون فى عبيد الأوثان أهل الكفر وأصحاب الشيطان.

فما ظنك أيها الأمير بمن يلوذ به بعد الله الجمهور بأمة هى وقايد هذه العظائم الفادحة، والنوائب الكالحة؟ هو المطالب بدمائها إذا أسلمها فى آخر ذمائها، وتركها أغراضنا لأعدائها، حين أحجم عن لقائها، فإلى الله بك المشتكى ثم إلى رسوله المصطفى، ثم إلى ولى عهدة أمير المسلمين المرتضى، حيث ابتعثك بأجناده وأمدك بالجم الغفير من أعداده نادبًا لك إلى مقارعة العدو المحاصر لها وجهاده، والذب عن أوليائه المعتصمين بحبل طاعته، والمتجملين السبعة الأشهر الشدائد الهائلة فى جنب موالاته ومشايعته، من أمة قد نهكهم ألم الجوع وبلغ المدى بهم من الضر الوجيع، قد برح بهم الحصار، وقعدت عن نصرتهم الأنصار، فترى الأطفال بل الرجال جوعا يجرون، يلوذون برحمة الله ويستغيثون ويتمنون مقدمك بل يتضرعون، حتى كأنك قلت فيها: اخسأوا فيها ولا تكلمون! وما كان إلا أن وصلت وصل الله برك بتقواه على مقربة من هذه الحضرة ونحن نأمل منك بحول الله أسباب النصرة بتلك العساكر التى أقر الله بهاؤها وسر النفوس رهاؤها، فسرعان ما انثنيت وما انتهيت! وارعويت وما أذنيت! خابيا عن اللقاء ناكصًا على عقبيك عن الأعداء، فما أوليتنا عنا بل أوليتنا بلاء، وعلى الداء داء، بل أدواء، وتناهت بنا الحال جهدًا والتواء، بل أذللت الإسلام والمسلمين واجترحت فضيحة الدنيا والدين!.

فيا لله ويا للإسلام! لقد اهتضم عرمه وحماه أشد الاهتضام! إذ أحجمت أنصاره عن إعزازه أقبح الإحجام، ونكصت عن لقاء عدوة وهو فى فئة قليلة وأمه رذيلة، وطائفه قليلة يستنصر بالصلبان والأصنام، وأنتم تستنصرون بشعائر الإسلام، وكلمة الله هى العليا ويده الطولى، وكلمة الذين كفروا السفلى، وإن من وهن الإيمان وأشد الضعف الفرار عن الضَّعْف، فكيف عن أقل من الصنف؟ فما قبح من بالصغار وسيم خطه الخسف، فما هذا الجبن والفزع؟ وما هذا الهلع والجزع؟ بل ما هذا العار والضبع؟ أتحسبون يا معشر المرابطين وإخواننا فى ذات الله المؤمنين أن سبق على سرقسطة القدر بما يتوقع منه المكروه والحذر أنكم تبلعون بعدها ريقًا، وتجدون فى ساير بلاد الأندلس ـ عصمها الله ..

مسلكا من النجاة أو طريقًا؟ كلا! والله ليسومنكم الكفار عنها جلاء وفرارًا وليخرجنكم منها دارًا دارًا! فسرقسطة حرسها الله هى السد الذى إن فتق فتقت بعده أسداد والبلد الذى ان استبيح لأعداء الله استبيحت له أقطار وبلاد!.

فالآن أيها الأمير الأجل! هذه أبواب الجنة قد فتحت، وأعلام الفتح قد طلعت، فالمنيسة ولا الدنية! والنار ولا العار! فأين النفوس الأبية؟ وأين الأنفة والحمية؟ وأين الهمم المرابطية، فلتقدح عن زنادها بانتضاء جدها وامتطاء جدها واجتهادها، وملاقاة أعداء الله وجهادها، فإن حزب الله هم الغالبون، وقد ضمن تعالى لمن يجاهد فى سبيله أن ينصره، ولمن حامى عن دينه أن يؤيده ويظهره، فى هذا أيها الأمير الأجل؟ ألا ترغب فى رضوانه واشتراء جناته بمقارعة حزب شيطانه، والدفاع عن أهل إيمانه؟ فاستعن بالله على عدوه وحربه، واعمده ببصيرة فى ذات الله إلى أخوان الشيطان وحزبه، فإنهم أغراض للمنايا والحتوف، ونهز للرماح والسيوف، ولا ترض بحطة العار وسوء الذكر والصيت فى جميع الأمصار ولا تكن كمن قيل فيه:

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ولا يرزا من العدو فتيلا

ولن يسعك عند الله ولا عن مؤمن عذر فى التأخير والارعواء عن مناجزة الكفار والأعداء، وكتابنا هذا أيها الأمير اعتذار تقوم لنا به الحجة فى جميع البلاد، وعند سائر العباد، فياسلامكم إيانا إلى أهل الكفر والالحاد، ونحن مؤمنون، بل موقنون من إجابتكم إلى نصرتنا، وإعذاذك إلى الدفاع عن حضرتنا، وأنك لا تتأخر عن تلبية ندائنا ودعائنا إلى استنقاذنا من أيدى أعدائنا، فدفاعك إنما هو فى ذات الله وعن كلمه. . .[1] ومحاماتك عن الإسلام وحزبه، فذلك الفخر الأنبل لك فى الأخرى والدنيا، وموروث لك عند الله المنزلة العليا، فكم تحيى من أمم، وتجلى من كروب وغم!.

وإن تكن منك الأخرى، وهى الأبعد عن متانة دينك وصحة يقينك فأقبل بعسكرك على مقربة من سرقسطة ـ عصمها الله ليخرج الجميع عنها ويبرأ إلى العدو وقمة الله منها ولا تتأخر ـ يكفما كان ـ طرفة عين، فالأمر أضيق والحال أزهق فعد بنا من المطل والتسويف قبل وقوع المكروه والمخوف، وإلا فأنتم المطالبون عند الله بدمائنا وأموالنا،

(١) ناقصة فى الأصل ولعلها (الحق).

والمسئولون عن صبيتنا وأطفالنا، لإحجامكم عن أعدائنا، وتثبطكم عن إجابة ندائنا، وهذه حال نعيذك أيها الأمير الأجل عنها، فإنها تحملك من العار ما لم تحمله أحدًا، وترثك وجميع المرابطين الخزى أبدًا، فالله الله اتقوه وأيدوا دينه، وانصروه، فقد تعين عليكم جهاد الكفار، والذب عن الحريم والديار، قال الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ الآية، وقد برئتم بإسلامنا للأعداء من نصر الإسلام وعند الله لطف خفى، ومن رحمته ينزل الصنع الحفى ويغنينا الله عنكم، وهو الحميد الغنى!.

ومن متحملى كتابنا هذا، وهم ثقاتنا، تقب من كنه حالنا على ما لم يتضمنه الخطاب، ولا استوعبه الإطناب بمنه وله أتم الطول فى الإصغاء إليهم واقتضاء ما لديهم إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

(١) انظر: حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسى، ص ١٣٢ - ١٣٧.

ملحق (٥)

«رسالة من أمير المسلمين على بن يوسف إلى أهل الأندلس»

كتابنا أبقاكم الله، وأكرمكم بتقواه، ويسركم لما يرضاه، ووفد حظوظكم من حسناه، يوم كذا من عام كذا، ويتأدى إليكم من قبل واليكم، وخليفتنا فيكم، وهو النائب عنا فى تدبيركم، وبإقامة أموركم، وسياسة صغيركم وكبيركم، ليس لأحد معه فى شىء من ذلك يد ولا مع مشهده إلا بادنه وإباحته مشهد، قد فوضنا إليه فى ذلك كله، وأفردنا النظر فى دقه وجله، وكثره وقله، ولن يألوكم نظراً يصلح لكم، وينجح أعمالكم ويحسن به الله عقباكم ومآلكم، وهو بلساننا متكلم، وعما فى ضميرنا مترجم، وفى قالب رأينا مفرغ، وعلى منواله مسد وملجم، ما أمضاه أمضينا، وما وقفه وقفناه، فاسمعوا منه فى ذات الله (٨ب) وأطيعوه، ولا تخالفوه فيما يراه من مصالحنا ومصالحكم ولا تعصوه، وما دعاكم إليه فابتدروه، وما حد لكم اجتنابه فاجتنبوه، وإياكم وما يسخطه من التشغيب عليه فيما ينتحيه، والفقيه الأجل القاضى أبو فلان يصل فى ذات الله على سنن الحق يده، ويقصد مقصده، وكذلك ألو الرأى من جميعكم يكون معه جماعة، وعلى حبل ذراعه طاقة، ويهدون إليه ما يغيب عنه من أمور سائركم، ويطلعونه على ما يخفى عليه من أحوال أكابرهم وأصاغركم، حسبنا هذا توصية، وتذكرة جامعة مستوفية، ولا حجة بعد لمن جار عن السنن، وخالف الواجب عليه المتعين، ولا يلم من خالف عهدنا، وتعدى قصدناه إلا رأيه ونفسه الأمارة بالسوء، وبالله التوفيق والسلام[1].

(١) انظر: محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ـ مدريد ـ المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩هـ ـ سنه ١٩٥٩م ص ١٧٥، ١٧٦.

ملحـق (٦)

رسالة من

الخليفة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن

إلى أخيـه السيد أبى سعـيد عثمـان وأصحابه الطلبة بقـرطبة، يوصى فيهـا بأن تجرى الأحكام وفقًا للعدل وتحـرى الدقة، وألا يقضى فى أمر الدماء إلا بعد رفـعه إلى الخليفة، من إنشاء الوزير الكاتب أبى الحسن بن عياش، ومؤرخه فى شهر رمضان سنة ٥٦١هـ.

(منقولة عن كـتاب «المن بالإمامـة» لابن صاحب الصلاة مـخطوط أكسفـورد لوحات ٧٩ب ـ ٨٢ب.

ونشرها العلامة جولدسيهر فى بحثه:

(Materialien zur Kenntniss der Almohaden Beweguug) P.134 - 138.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده

من الأمير يوسف ابن أمير المؤمنين أيدهم الله بنصـره، وأمدهم بمعونته، إلى الشيخ الأجل أخينا الأعز علينا، الأكـرم لدينا، أبى سعيد وأصحابه، الطلبة الـذين بقرطبة أعزهم الله، ودام كرامتهم بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، ونشكره علـى آلائه ونعمـه، ونصلى على مـحـمـد نبيـه المـصطفى ورسولـه، ونرضى عن الإمام المـعصـوم المهدى الـمعلوم نجله وسليله، ونوالى الـدعاء لسيدنا أمير المؤمنين القائم بأمره والداعى إلـى سبيله، وإنا كتبناه إليكم أكرمكم الله بتقواه، وكلأ جانبكم وحماه، من حضرة مراكش حرسها الله، والذى نوصيكم به تقوى الله تعالى، والعمل بطـاعته والاسـتعانة به والتـوكل عليه، ومـوالاة شكره على ما هدى أوليـاء أمره، وأنصار دعوته، وحماة كلمته، من صـرف أعنة المحبة والاهتمام، وإحكام منابر الأحكام، فيما وكله إليهم من أمور الإسلام، إلى أن تجرى على السداد، وتنسق على سبيل الإرشاد، وتقيم على المـهيع، وتمضى على المـنهج، وتسير فى الواضح، وتهـتدى على اللاحب،

ويسلك بها فى الجدد، الذى من سلكه أحمدت منه الآثار، وأمن عليه العثار، وارتضى له الإيراد والإصدار، فيكون العمل فيها على اليقين، الهادى إلى الصراط المستبين، المأمون فى سلوكه من المزلة والضلال، المرجو فى الاهتدا به حسن العاقبة وصلاح الحال، فنسأله تعالى جده عونًا من قبله على هذا الغرض العام الجدوى يصاحب، وتوفيقًا من لدنه فى هذا النظر الشامل المنفعة يجاور ويصاقب، وأنه أدام الله كرامتكم، لما كانت مبانى هذا الأمر العزيز أدامه الله على التقوى مؤسسة، وأوامره ونواهيه على الله ورسوله جرية مترقبة، وإليها فى الأخذ والتركة مستندة، وبمقتضياتها فى جميع الأحكام آخذة عاملة، إذ هى نور الحق وسراجه، وعمود الصدق ومعراجه وسبيل الفوز ومنهاجه، ورائد الثواب وبشيره، وقائد العقاب ونكيره، فمن ائتم بكتاب الله، الذى هو الإمام المنادى والحق الواضح البدى، وبسنة رسوله ﷺ، التى جعل العمل بها كالعمل بكتابه، والوقوف عند حدها كالوقوف عند حده، أمن من الغوائل، فى العاجل والآجل، وبلغ من السلامة فى الحالين إلى أقصى أمد الأمل، ولم يوجد للباطل إليه سبيلا، ولم يتمكن للشيطان أن يجد فى تضليله واستهوائه صرفًا ولا حويلا، فتوفرت الدواعى على الدعاء إليها، وحمل الكافة عليها، وأخذ الجميع بما يفقههم لديها، وقد أمر الله تعالى، من أمر الناس بطاعته، أن يحكموا بالعدل ويضعوا للعبد موازين القسط، فلم يكن لهم بد من امتثال أمره، والاستناد إلى حكمه، وكانت الوجوه التى تفضى إلى الحق، فى فصل قضايا العباد متنقبة، والطرق المؤدية إلى مغنى الصدق ومعناه ملتبسة ومتشعبة، فخرج فيها بنيات تخطئ الصراط المستقيم، وتضل الضلال البعيد، فصار إمضاءها من غير استناد إلى هذا الهدى المتبوع، والعلم المرفوع، خطرًا على ممضيها، وإنفاذها على غير هذا السنن غررًا على منفذيها، ولما كان الأمر كذلك، تعين ووجب وثبت وترقب، أن نخاطب جميع عمال بلاد الموحدين أعزهم الله، شرقًا وغربًا وبعدًا وقربًا، خطابًا يتساوى فيه جميعهم، ويتوازى فى العمل فيه كافتهم، بألا يحكموا فى الدماء حكمًا من تلقائهم، ولا يريقوها بباد أو رأى من آرائهم، ولا يقدموا على سفكها بما يظهر إليهم، ويتقرر فيما يروقه لديهم، إلا بعد أن تُرفع إلينا النازلة على وجهها، وتؤدى على كنهها، وتشرح حسب ما وقعت عليه، وتنتهى بالتوثق والبيان إلى ما انتهت إليه، وتقيد بالشهود العدول، المعروفين فى مواضعهم بالعدل

والرضا، الموجبين للقبول، وتكتب أقوال المظلومين وحججهم، وإقرارهم واعترافهم، وحجج الظالمين فى مقالاتهم واستظهارهم فى بياناتهم، مُعطًى كل جانب حقه، موفى كل قائد قوله، فتكون مخاطبتكم أعزكم الله، ومخاطبة من يتناول هذا الكتاب وتوجه إليه هذا القصد، خطاب من تَحَمَّل الشهادة ويؤدى فيها أمانة، على ما يجب من البيان الذى لا يعتوره التباس ولا يطمس وجهه إشكال، ويتوثقون فى المطلوبين بالدماء بسجنهم وتثقيفهم، ويتوكفون ما تصلكم به المخاطبة، فتقفون عند مقتضاه، ولا يعدلون عن شىء من معناه، مراقبًا كل منكم إلهه ومولاه، علمًا بأنه يعلم سره ونجواه، وأنه يسمعه ويراه، واعلموا وفقكم الله وأسعدكم، أن هذا الحكم عام فى جميع النوازل، التى أطلقت السنة فيها القتل وسنته، وحكمت به وشرعته، كمن قتل نفسًا وأقر بالقتل، أو شهد العدول عليه به، ومن بدل دينا وارتد عنه، ومن أتى الفاحشة بعد الإحصان، باعتراف أو دليل أو شهادة مقبولة، وما خير الأئمة فيه من قتل المحاربين والساعين فى الأرض بالفساد، والمتأملين أمر الله بالاستهزاء والعناد، سواء سُن ذلك كله أو وقع فيه ضرب يشاكله مجراه، واحد فى التوقف عن إمضائه، والتأخر عن تنفيذه، إلا بعد المطالعة، وتعرف وجه العمل من المجاوبة وكذلك وفقكم الله يكون التوقف فيما عدا المذكور من النوازل، التى يكون [فيها] أحكام دون النفوس من قتل الخطأ وديات الشجاج، وعقول الأعضاء، وأرش الجراحات، ووجه القصاص، والقطع فى السرقات، إلى غير ذلك من القضايا المشكلة فى الأموال وإطلاقها واستحقاقها، وفى الرقاب وإعتاقها واسترقاقها، وملتبسات المناكحات والمعاملات، وما أشبهها من الأمور التى الإقدام على الحكم فيه تهجم، والعمل فيها بغير استناد إلى ما يجب تسور، فتوقفوا أعزكم الله عن جميع ما فُسِّر لكم، ولو أخفه توقف الساعى فى نجاته، العامل لديناه وآخرته، وقد ورد فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله من الخطر الوكيل، والوعيد الشديد، فى إراقة الدماء، واستباحة الأموال، واستحلال الحرمات إلا بوجه صحيح، لا يسلم إلا من طريق العصمة، ولا تهتدى إليه إلا أنوار الحكمة، ما يزع العقلاء، ويكف الألباء، ويحذرهم من سطو الله وعقابه، ويخوفهم من أليم عذابه، فعولوا على ما رسم فى هذا الكتاب، من التعريف بما يبطن وإنهاء كل ما ينزل، ليتصلكم من التوقيف، والبيان والتعريف، لما يظهر لكم به بركة الاقتداء، وتستبرق منه عليكم أنوار

الائتمـام والاهتداء، ويتراءى لكم به الحق فى صـوره الصادقة، ومثـله المطابقة، ومناظره الموافقة، ومطالـعه المشرقة، بفضل الله ورحمـته، وملاك ما يسدد مقـاصدكم فى جميع أحوالكم، ويوجب لكم الرضـا فى كافة أقوالكم وأفـعالكم، تقوى الله فى السر والـجهر، وخفيته فى الباطن والظاهر، وقـدع النفس عن هواها، وكبحها بلجام النهى عن الركض فى ميدان رداها، وطاعة أمره العظيم والجرى على سننه المـستقيم، فلذلك عصمة من الزلل، وتوفيق فى القـول والعمل بفضل الله، وقـد وجب أكرمكم الله لهذا الكتـاب، بما انطوى عليه من الأغراض الشاملة المنفعة، العامة المصلحة أن يعطى حقه من الإشاعة والتشهير، ويهض مقتضاه إلى الصغير والكبير، ويجمع الناس لقراءته وتلقى مضمته، ويساوى فيه بين الغائب والشاهد، والبـادى والحاضر، بإسماع من حـضر ومخاطبة من غـاب، ممن يتعلق بنظركم ويدخل تحت عملكم، ليأخذ الجميع بقسطه من المـسرة، وتعرف بركته واستشعار عائدته، وأنسه بما أمر به هذا الأمر العزيز، من إفاضة العدل، وبسط الدعة والأمن، وإقامة أمر الله تعـالى على وجهه المـتعين، وسننه الواضح المـبين، إن شاء الله تعـالى، والسلام عليكم ورحمة الله وتعـالى وبركاته، كتب فى الثالث من شهر رمضـان المعظم سنة إحدى وستين وخمسمائة.

ملحق (٧)

رسالة

من الخليفة أبى يعقوب يوسف

إلى الطلبة الذين بغرناطة، يشير فيها إلى وصول بيعتهم مع أشياخ غرناطة، وينوه بولائهم ووفائهم، ويوصى بإكرامهم وبرهم.

(منقولة عن كتاب «المن بالإمامة» مخطوط أكسفورد لوحة ١٠٥ ب)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم

والحمد لله وحده، من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيده الله بنصره، وأعزه بمعونته إلى الطلبة الذين بأغرناطة أكرمهم الله بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وتعالى وبركاته، أما بعد فإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلى على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضا عن الإمام المعصوب، المهدى المعلوم، القايم بأمر الله والداعى إلى سبيله، ونوالى الدعاء لصاحبه وخليفته الإمام أمير المؤمنين مسنى أمره العزيز إلى غاية تتميمه وتكميله، فإنا كتبناه إليكم أكرمكم الله بتقواه من حضرة مراكش حرسها الله والذى نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه، وقد وصلنا كتابكم من عند الشيوخ من إغرناطة، حرسها الله والموحدين، وفق الله جميعهم، ووفقنا عليه، ورأينا ما تحملوه عن الموحدين بأغرناطة، حرسها الله وجيرانهم من انعقاد إجماعهم على ما أجمع عليه شيوخ أهل [الهدى] وأعيانهم من الأمر الذى أوجبوا على أنفسهم المبايعة عليه، وأعطاه صفقة اليد فيه، وقد وفقهم الله لما وفق إليه أهل أمره، وذوى العصمة من طايفته، الله تعالى يتقبل منهم عملهم ويعرفهم بركة ما التزموه، ويعينهم على القيام بواجبهم والوفاء بحقه وقد انصرف هؤلاء الأشياخ المذكورين بعد إقامتهم بهذه الحضرة ونيلهم بركاتنا، ما يجدون أثره فى أحوالهم (وسريان) الانتفاع به

نقلا عن محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس ـ عصر المرابطين والموحدين ـ القسم الثانى.

فى أقوالهم وأعمالهم، فاعرفوا لـهم حق وفادتهم ومكان وفادتهم أحملوهم خيراً بهم على الرعـاية المتـصلة، والمـبرة الحـافلة المـشتـملة، إن شـاء الله تعالى، والله ولى عـونكم وصوبكم، لا رب غـيره، والسلام الـكريم العميم عليكم ورحـمه الله وبركـاته، كتب فى الثانى عشر من شوال عام ثلاثة وستين وخمس مائة.

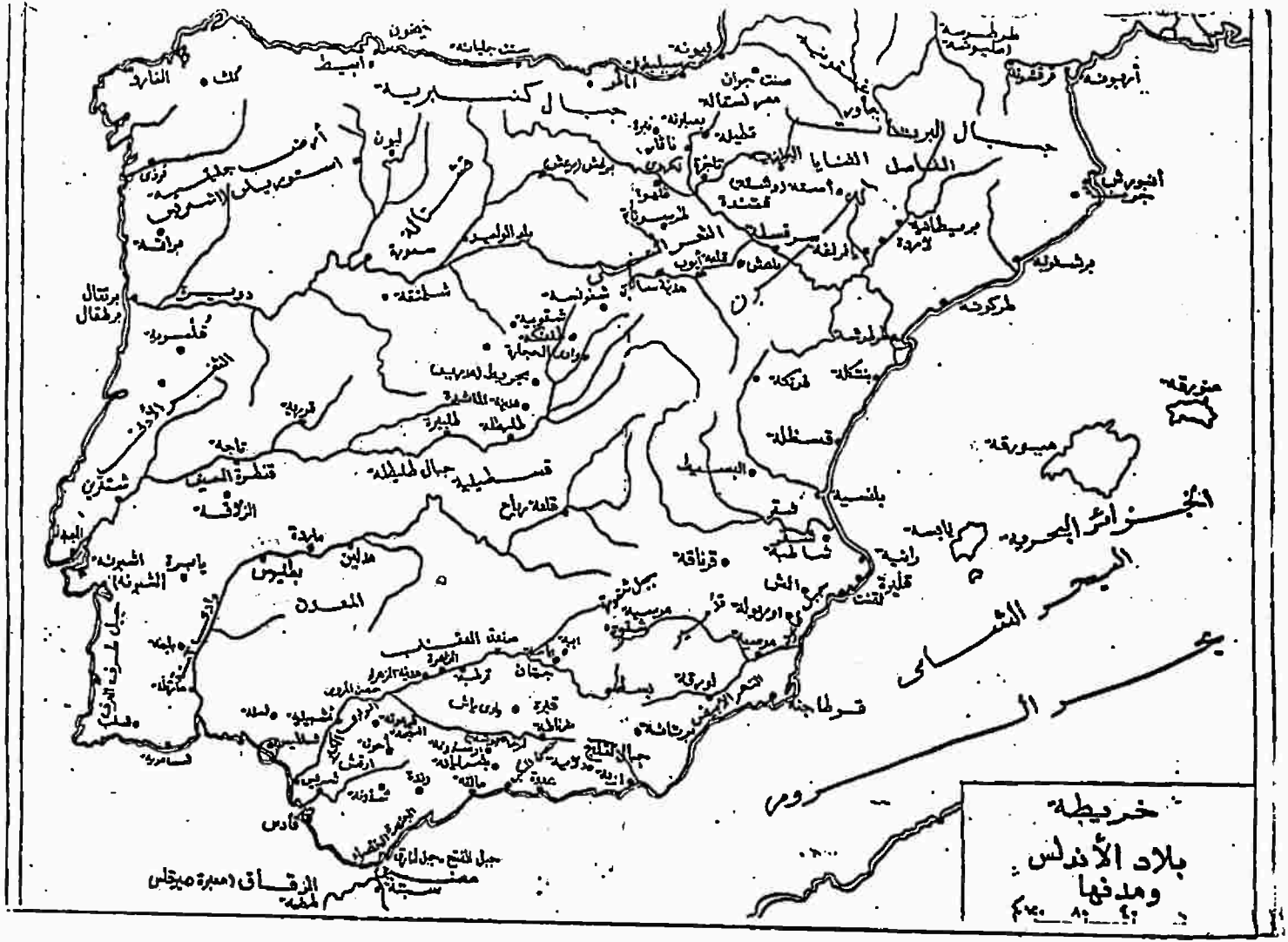
جبال كنبرية
جبال البرت
الفاصل
الغرب
شرق
المعدن
البحر الشامي
البحر الرومي
الجزائر البحرية
ميورقة
منورقة
يابسة
خريطة
بلاد الأندلس
ومدنها

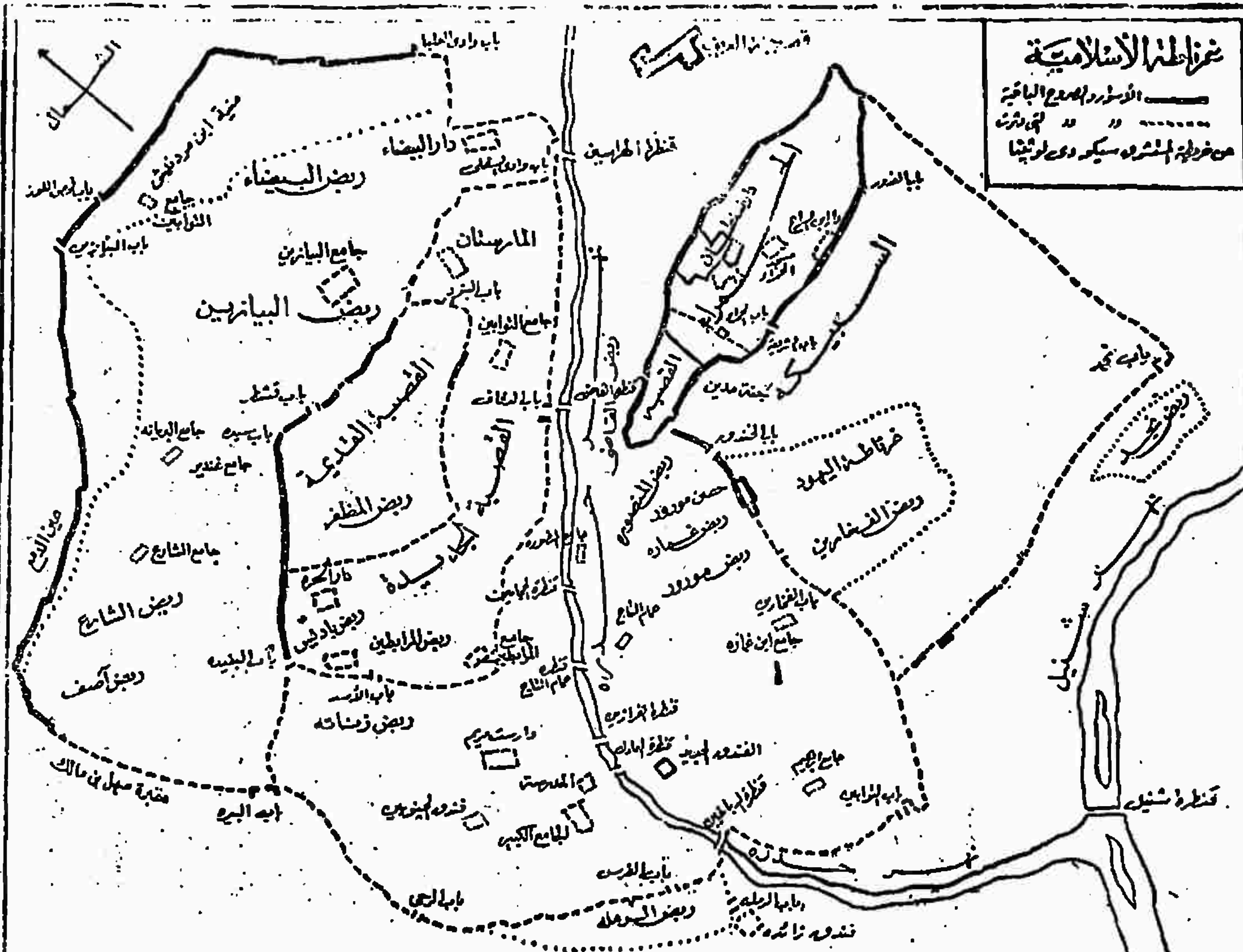

غرناطة الإسلامية
الأسوار والصروح الباقية
عن خريطة المستشرق سيكو دي لوثينا
الشمال
ربض البيضاء
دار البيضاء
ربض البيازين
جامع البيازين
المارستان
القصبة القديمة
القصبة الجديدة
ربض المظفر
ربض الشارع
جامع الشارع
ربض آصف
باب البيرة
الجامع الكبير
المدرسة
السبيكة
القصبة
ربض نجد
باب نجد
غرناطة اليهود
ربض الفخارين
باب الفخارين
باب الطويلة
قنطرة شنيل
شنيل
حدرة

المصـــــادر

أولا: قائمة المخطوطات:

١- البرزلى: (أبى القاسم بن أحمد البلوى البرزلى)

جامع مسائل الأحكام مما نزل بالمفتين والحكام، الخزانة الملكية (الرباط) رقم ٤٨٨٤.

٢- التادلى: (أحمد بن القاسم بن محمد بن سالم بن عبد العزيز الهروى)

كتاب المعزى فى أخبار مناقب الشيخ سيدى أبى يعزى رقم ١٢٤٩ دار الكتب المصرية

٣- ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة، مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٧٣.

رقم الحلل فى نظم الدول

مكتبة باريس الوطنية 5020

٥٠٢٠

٤- ابن رحال: (أبى الحسن على)

كشف القناع عن مسائل الصناع

الخزانة العامة الرباط مجموعة رقم ١٠٧٩ د.

٥- ابن أبى زرع: (أبو الحسن على بن محمد)

الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس

مخطوط دار الكتب الوطنية باريس ١٨٦٨

1868

٦- ابن أبى زمنين: (أبو عبد محمد)

كتاب قدوى الغازى، ورقة ٢٩، مخطوط رقم ٥٧٥ المكتبة الوطنية مدريد

٧- ابن سهل: (أبو الأصبغ عيسى)

ت ٤٨٦ هـ - ١٠٩٣م

الأعلام بنوازل الأحكام

المعرفة بالأحكام الكبرى

مخطوط بدار الكتب المصرية

٨- السيوطى: (عبد الرحمن بن أبى بكر)

ت ٩١١

البستان فى أخبار الزمان

مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٠٢٤

٩- الشطيبى: (محمد الشطيبى المغربى)

كتاب الجمان فى أخبار الزمان

مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٤١٦

١٠- العينى: (بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسن)

ت ٨٥٥هـ

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان

مخطوط رقم ١٥٨٤ دار الكتاب

١١- العمرى: (ابن فضل الله العمرى)

ت ٧٤٨هـ

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار

مخطوط دار الكتب المصرية

جـ ٢ قسم ١٦

١٢- النويرى: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد)

ت ٧٧٥هـ

نهاية الأرب فى فنون الأدب

مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩

١٣- مجهول: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية

دار الكتب الوطنية باريس 1873

١٨٧٣

١٤- المقرى: (أبى العباس أحمد المقرى التلمسانى)

ت ١٠٤١هـ

عرف الطيب فى أخبار ابن الخطيب

دار الكتب الوطنية باريس 1883

١٨٨٣

ثانيًا: المؤلفات العربية القديمة (المصادر)

١- ابن الأبار: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى) ٣٢

ت ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م.

ـ الحلة السيراء: جزءان تحقيق حسين مؤنس سنة ١٩٦٣

ـ التكملة لكتاب الصلة، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦، طبعة مدريد ١٨٨٨ - ١٨٨٩ تحقيق كوديرا.

ـ المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى، تحقيق كوديرا وزيدين مجريط روخس سنة ١٨٨٥م.

٢- ابن الأثير: (على بن أحمد بن أبى الكرم)

ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٨هـ

ـ الكامل فى التاريخ، بيروت ١٩٦٧ ومطبعة الاستقامة

٣- الإدريسى: (محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف)

ت ٥٥٨ هـ - ١١٦٣م

ـ صفة المغرب وأرض السودان ومصر الأندلس

نشر دوزى ودى غويه، طبعة ليدن ١٨٦٦م

٤- الأشبيلى: (ابن العوام)

توفى آخر القرن السادس

ـ كتاب الفلاحة باعتناء بانكورى

مدريد ١٨٠٢م

٥- **الإصطخرى:** (أبو أسحاق إبراهيم بن محمد الفارس الإصطخرى المعروف بالكرخى)

ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى

«المسالك والممالك»

٦- **ابن أبى أصيبعة:** (موفق الدين أبى العباسى أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الصفدى الخزرجى)

ت ٦٦٧هـ - ١٢٧٠م

ـ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، نشر نزار رضا

بيروت سنة ١٩٦٥

٧- **ابن بسام:** (محمد بن أحمد بن بسام المحتسب)

ت فى القرن التاسع الهجرى

ـ نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائى

ـ مطبعة دار المعارف بغداد سنة ١٩٦٨م

٨- **ابن بسام:** (أبو الحسن على بن بسام الشنترينى)

ت ٩٤٢هـ - ١٥٣٥م

ـ الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة

تحقيق إحسان عباس

ـ الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة

القسمان الأول والرابع، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩ - ١٩٤٥

٩- **ابن بشكوال:** (أبو القاسم خلف بن عبد الملك)

ت ٥٧٨هـ - ١١٨٢م

ـ الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم
القاهرة سنة ١٩٦٦م

١٠- ابن بصال: (أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال)

ـ كتاب الفلاحة تحقيق بيكروسا ومحمد عزيمان، تطوان، منشورات محمد مولاى الحسن ١٩٥٥

١١- ابن بطوطة: (أبو عبد الله محمد الطنجى اللواتى) ٧٧٩ هـ - ١٣٧٨

ـ تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار
نشر وترجمة Defremary et sanguinette
باريس سنة ١٩٢٢م، وطبعة دار صادر بيروت سنة ١٩٦٧م

١٢- البغدادى: (صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى)

ت ٧٣٩هـ - ١٣٣٨م

مراسد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع

ـ ثلاثة أجزاء (القاهرة سنة ١٩٥٤)

١٣- البكرى: (أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى)

ت ٤٨٧هـ - ١٠٩٧م

ـ المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب نشر دى سلان سنة ١٩١١م

١٤- ابن بلقين: (عبد الله)

ـ التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى فى غرناطة نشرة ليفى بروفنسال، القاهرة دار المعارف سنة ١٩٥٥

١٥- ابن البناء: (أبى العباس المراكشى)

ـ رسالة فى الأنواء

١٦- البيذق: (أبو بكر الصنهاجي) (القرن السادس الهجرى)

ـ أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين

نشر ليفى بروفنسال سنة ١٩٢٨ باريس، طبعة الرباط وطبعة دار المنصور سنة ١٩٧١.

١٧- التادلى: (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن)

ت حوالى ٩١٧ هـ

ـ التشوف إلى رجال التصوف، نشره وصححه أدولف فور سنة ١٩٥٨، الرباط

١٨- التطيلى: (ديوان الأعمى التطيلى)

١٩- ابن تومرت: (المهدى محمد بن عبد الله)

ت ٥٢٤ هـ

ـ أعز ما يطلب، مشتمل على جميع تعاليق الإمام محمد بن تومرت، الجزائر ١٩٠٣م

٢٠- ابن تيمية: الحسبة فى الإسلام، دمشق سنة ١٩٦٧

٢١- ابن جبير: (الحسين محمد بن أحمد)

ت ٤٥٦ هـ

ـ رحلة ابن جبير، بيروت سنة ١٩٥٩

ـ نشر حسين نصار القاهرة سنة ١٩٥٥

٢٢- الجزنائى: (أبو الحسن على)

ـ زهرة الآس فى بناء مدينة فاس سنة ١٩٢٢م - ١٢٤٠هـ

الجزائر طبع باعتناء الفريدبل

٢٣- ابن حزم: (أبو محمد على بن أحمد)

ت ٤٥٦ - ١٠٦٣م

- جمهرة أنساب العرب

- جمهرة ليفى بروفنسال - دار المعارف، تحقيق عبد السلام هارون القاهرة سنة ١٩٧١م

- الرد على ابن النغريلة اليهودى

تحقيق إحسان عباس، القاهرة دار العروبة سنة ١٩٦٠

٢٤- أبى الحسن: (على ين يوسف الحكيم)

ألف كتابه فى القرن الثامن الهجرى

- الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة

تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٨م

٢٥- الحميرى: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العظيم)

ت ٨٦٦ هـ - ١٤٦١م

- الروض المعطار فى خبر الأقطار قطعة مأخوذة من كتاب صفة جزيرة الأندلس تحقيق ليفى برفنسال - القاهرة ١٩٣٧م

٢٦- الحميدى: (أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الأزدى)

ت ٤٨٨ هـ - ١٠٩٥م

- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس

ضمن المكتبة الأندلسية سنة ١٩٦٦م

٢٧- ابن حوقل النصيبى: (أبو القاسم محمد بن على)

ت فى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى

ـ كتاب صورة الأرض

نشر مكتبة دار الحياة ـ بيروت

٢٨- ابن خاقان: (الفتح بن خاقان)

ت ٥٢٩هـ - ١١٣٤م

ـ قلائد العقيان فى محاسن الزمان ط ١ سنة ١٣٢٠هـ مصر

المطبعة العتيقة بتونس تقديم محمد العنانى

٢٩- ابن الخطيب: (لسان الدين بن الخطيب السلمانى)

ت ٧٧٦هـ - ١٣٧٤هـ

ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام

القسم الثانى تحقيق ليفى بروفنسال ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦م

ـ أعمال الأعلام، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم الكتانى، تحت عنوان «تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط» سنة ١٩٦٤م

ـ الإحاطة فى أخبار غرناطة ٤ أجزاء

تحقيق محمد عبد الله عنان القاهرة سنة ١٩٧٣م

ـ اللمحة البدرية فى الدولة النصرية.

ـ مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب (مجموعة من رسائله) نشر أحمد مختار العبادى ـ الإسكندرية سنة ١٩٥٨.

ـ نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب

نشر أحمد مختار العبادى ـ القاهرة سنة ١٩٦٧

ـ كناسة الدكان بعد انتقال السكان

نشو محمد كمال شبانة ـ القاهرة ١٩٦٦م

ـ رقم الحلل فى نظم الدول ـ تونس سنة ١٣١٧هـ

٣٠- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد)

ت ٨٠٨هـ

ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ٧ أجزاء.

ـ المقدمة، طبعة دار الشعب، طبعة بيروت سنة ١٩٧١، سنة ١٩٧٩ وطبعة الكشاف، منشورات مؤسسة الأعلى

٣١- ابن خلدون: التعريف برحلته شرقًا وغربًا، نشر محمد بن تاويت

٣٢- ابن خلكان: (أبى العباس أحمد بن خلكان)

ت ٦٨١ هـ

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨ أجزاء طبعة سنة ١٩٤٨ النهضة المصرية.

٣٣- خليفة بن خياط: انظر تاريخ خليفة ابن خياط

٣٤- ابن دحية: (أبو الخطاب عمر ابن الشيخ الإمام أبى على)

ت ٦٢٣ هـ

ـ المطرب فى أشعار أهل المغرب جـ ١ الخرطوم سنة ١٩٥٤م

ـ المطر ب فى أشعار المغرب، تحقيق إبراهيم الأبيارى، القاهرة، المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٤م.

٣٥- ابن أبى دينار: (محمد بن القاسم الرعينى القيروانى)

ـ المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ط ١ تونس ١٢٨٦ هـ

٣٦- ابن رشد: (محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبى الأندلسى)

الشهير بابن رشد الحفيد المتوفى سنة ٥٩٥هـ - ١١٩٩م

ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد جزءان، راجع أصوله وعلق عليه عبد الحليم محمد عبد الحليم، طبعة دار الكتب الإسلامية سنة ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ

٣٧- ابن الزبير: (أبو جعفر أحمد) القسم الأخير، تحقيق ليفى بروفنسال

ـ وهو ذيل للصلة البشكوالية، الرباط، المطبعة الاقتصادية سنة ١٩٣٧

٣٨- الزجالى: (أبى يحيى)

عاش فى القرن السابع

ـ أمثال العوام فى الأندلس، قسم ٢ استخرجها وحققها محمد بن شريفة، فاس سنة ١٩٧١م

٣٩- ابن أبى زرع: (أبو الحسن على بن عبد الله)

ت ٧٤١هـ - ١٣٤٠م

ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط سنة ١٩٧٢م وطبعة الرباط تحقيق الهاشمى، الفيلالى سنة ١٩٣٦، ونسخة أخرى طبعة حجر دار الكتب، وطبعة أوبسالة باعتناء كارل بوجن تورنبرغ سنة ١٨٤٣م - ١٨٦٤م

٤٠- الزركشى: (أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن إبراهيم اللؤلؤى)

ـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس المكتبة العتيقة سنة ١٩٦٦م

٤١- الزهرى: (أبى محمد بن أبى بكر الزهرى)

ـ كتاب الجغرافيا

ت فى حدود ٥٥٦ هـ - ١١٦٠م

تحقيق محمد الحاج الصادق، دمشق المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية

٤٢- ابن أبى زيد القيروانى

ـ الرسالة: طبعة الجزائر

فصل فى غسل الموتى وتكفينهم وتحنيطهم.

٤٣- ابن سعيد: (محمود بن سعيد مقديش الصفاقس)

ت ١٢٢٨هـ- ١٨١٣م

ـ نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار، تونس ١٣٢١هـ

٤٤- ابن سعيد: (المغرب الأندلس)

ت ٦٧٣هـ - ١٢٧٤

ـ المغرب فى حلى المغرب «جزءان»

تحقيق شوقى ضيف

٤٥- ابن سعيد: الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربى، بيروت سنة ١٩٧٠م، طبعة الجزائر ١٩٨٢

ـ رايات المبرزين ـ نشر غرسيه غومس

٤٦- السقطى: (أبو عبد الله محمد بن أبى محمد السقطى المالكى الأندلسى)

ت ٦٣١هـ - ١٢٣٤م

ـ فى أدب الحسبة

نشر ج. س كولان، وليفى بروفنسال

٤٧- ابن سهل: (أبو الأصبع عيسى)

ت ٤٨٦هـ - ١٠٩٣م

ـ الأحكام الكبرى مخطوط الرباط

تحقيق نورة عبد العزيز التويجرى رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الأداب جامعة الملك سعود ـ الرياض

٤٨- ابن الشباط: (محمد بن على بن محمد بن الشباط المصرى)

ـ صلة السمط، استخرج قسمة الأندلس

أحمد مختار العبادى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، سنة ١٩٦٥م - ١٩٦٦م

مجلد ١٣، ٤١ سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨

٤٩- **ابن شهيد:** (أحمد بن أبى مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر - ابن عيسى بن الوضاح الأشجعى)

ت ٤٢٦هـ - ١٠٣٥م

- ديوان ابن شهيد الأندلس، تحقيق يعقوب زكى، مراجعة محمود على مكى، دار الكاتب العرب للطباعة والنشر بدون تاريخ القاهرة

- رسالة التوابع والزوابع

٥٠- **ابن صاحب الصلاة:** (عبد الملك)

ت نهاية القرن السادس الهجرى

- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين - السفر الثانى.

تحقيق عبد الهادى التازى - بيروت ط - بيروت ١٩٦٤م وطبعة سنة ١٩٧٩ الجمهورية العراقية.

٥١- **الضبى:** (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة)

ت ٥٥٩هـ - ١٢٠٢م

- بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس.

المكتبة الأندلسية مصر سنة ١٩٦٧

٥٢- **الطرطوشى:** أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهرى (٥٤١ هـ - ٥٢٠هـ - ١٠٥٩ - ١١٢٦م)

- الحوادث والبدع

تحقيق الطالبى تونس سنة ١٩٥٩م

٥٣- سراج الملوك الطبعة

ت ١٢٨٩هـ

٥٤- ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن

ت ٢٧٦هـ - ٨٨٩م

ـ كتاب فتوح أفريقية والأندلس، نشر الجزائر ١٩٤٨م

٥٥- ابن عبد الله: (محمد بن ابن عبد الله)

ـ مجموعة المواقيت العصرية

مصر سنة ١٣٩٤هـ

٥٦- ابن عبد الرؤوف: (أحمد بن عبد الله)

ـ فى أدب الحسبة والمحتسب

(ضمن مجموعة ثلاث رسائل فى الحسبة)

تحقيق ليفى بروفنسال مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية القاهرة سنة ١٩٥٥م

٥٧- ابن عبدون:

ـ رسالة فى القضاء والحسبة

(ضمن مجموعة ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة)

٥٨- ابن عذارى المراكشى

ت فى أواخر القرن السابع الهجرى

ـ كتاب البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب

الجزء الأول والثانى تحقيق ج. س كولان وليفى بروفنسال دار الثقافة بيروت

الجزء الثالث تحقيق ليفى بروفنسال دار الثقافة ـ بيروت

الجزء الرابع تحقيق إحسان عباس، بيروت دار الثقافة سنة ١٩٦٧م

جزء ٤ قسم ٣ القسم الموحدى، تحقيق هويثى ميراندا ومشاركة محمد ابن تاويت ومحمد إبراهيم الكتانى معهد مولاى الحسن تطوان سنة ١٩٦٠

٥٩- **العذرى:** (أحمد بن عمر بن أنس العذرى المعروف بابن الدلائى)

ت ٤٧٨هـ - ١٠٨٥م

ـ نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع البستان فى غرائب البلدان والمالك إلى جميع الممالك، نشر وتحقيق عبد العزيز الأهوانى معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٥.

٦٠- **العمرى:** (ابن فضل الله): (شهاب الدين أحمد بن يحيى الكاتب الدمشقى العمرى)

ت ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

ـ مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار

ـ وصف أفريقية والمغرب والأندلس

تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ـ تونس

٦١- **عياض:** أبو الفضل عياض بن موسى بن عياش اليحصبى السبتى

ت ٥٤٤هـ - ١١٤٩م

ـ الأعلام بحدود قواعد الإسلام ـ تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ـ الرباط سنة ١٩٦٤م

٦٢- ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت)

٦٣- ابن غازى: (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن على)

ت ٩١٩هـ - ١٥١٣م

ـ الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون طبع حجر مغربى.

٦٤- ابن غالب: (محمد بن أيوب الأندلس)

ت فى القرن السادس الهجرى

ـ قطعة من كتاب فرحة الأنفس

تحقيق لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ١ جزء ٢ سنة ١٩٥٥

٦٥- الغبرينى: (أبى العباس أحمد)

ـ عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة فى بجاية، الجزائر المطبعة الثعالبية ١٣٢٨ عـ و ط. ١٩٧٠م تحقيق رابح بونار (مجموعة زخائر العرب)

٦٦- ابن فرحون: (برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد اليعمرى)

ت ٧٩٩ هـ

ـ الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب، القاهرة

مطبعة السعادة سنة ١٣٩١هـ - ١٣٩٦م

٦٧- ابن القاضى: (أحمد بن القاضى المكناس)

ت ١٠٢٥هـ - ١٦١٦م

ـ جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس ٢ قسم دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط ١٩٧٤م

ـ جذوة الأقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس طبعة حجر فاس سنة ١٢٠٩

٦٨- **القرطبى:** عريب بن سعد القرطبى

ت أواخر القرن الرابع

ـ تقويم قرطبة، نشرة مع ترجمة فرنسية دوزى، ليدن، بريل الطبعة الجديدة، سنة ١٩٦١.

٦٩- **القزوينى:** (زكريا بن محمد بن محمود القزوينى)

ت ٦٨٢هـ - ١٢٣٨م

ـ آثار البلاد وأخبار العباد

٧٠- **ابن القطان:** (أبو على حسين بن على بن القطان)

ت ٦٢٨هـ - ١٢٣٠م

ـ جزء من كتاب نظم الجمان، تحقيق محمود على مكى تطوان المغرب، المطبعة المهدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط سنة ١٩٦٤م.

٧١- **القلقشندى:** (أبو العباس أحمد)

ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا

القاهرة سنة ١٩١٣ الجزء الخامس

٧٢- **ابن القوطية:** (محمد بن عمرو بن عبد العزيز أبو بكر)

ت ٦٣٧

ـ تاريخ افتتاح الأندلس

تحقيق عبد الله أنيس الطباع ـ بيروت سنة ١٩٧٥ وطبعة ربيرا مدريد سنة ١٨٦٨م

٧٣- **ابن الكردبوس:** أبو مروان عبد الملك

ت ٦٨١هـ - ١٢٨٣م

ـ تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط (محمد بن على)

استخرج قسمة الأندلسى أحمد مختار العبادى

(نصان جديدان)

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١م

٧٤- الماوردى: (أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى)

ت ٤٥٠هـ

ـ الأحكام السلطانية

القاهرة طبعة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠

مكتبة وطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

٧٥- مجهول: أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهما

E.Lafuente مجريط سنة ١٩٦٧م

٧٦- مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد

مطبعة جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨

٧٧- مجهول: مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية

تحقيق ليفى بروفنسال، الرباط، المطبعة الاقتصادية سنة ١٩٤١م

٧٨- مجهول: الطبيخ فى المغرب والأندلس

ـ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، تحقيق أمبروزيو أويشى ميراندا تقديم حسين مؤنس مدريد سنة ١٩٥٥

٧٩- مجهول: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية

مجهول من أهل القرن الثامن الهجرى

ـ تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة

دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ - سنة ١٩٧٩م

٨٠- مجهول: نخب تاريخية جامعة لأخبار البربر فى القرون الوسطى المعروفة باسم مفاخر البربر جمعها ونشرها ليفى بروفنسال سنة ١٩٢٣م

٨١- المجيلدى: (أحمد سعيد)

ت ١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م

ـ التيسير فى أحكام التسعير

تحقيق موسى لقبال الجزائر سنة ١٩٧٠م

٨٢- ابن منظور: (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى)

ت ٧١١هـ - ١٣١١م

ـ لسان العرب

طبعة مصورة عن طبعة بولاق ٢٠ مجلد المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر

٨٣- أبو المحاسن: (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى)

ت ٨٧٤هـ - ١٢٥٤م

ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٦م

٨٤- المراكشى: (عباس بن إبراهيم)

ـ الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

٨ أجزاء جـ ٣ سنة ١٩٦٣م

٨٥- المراكشى: (عبد الله المراكشى)

ـ الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة

٣ أسفار، السفر الأول تحقيق محمد بن شريفة، والسفران الرابع والخامس تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة ١٩٦٤ - ١٩٦٥، السفر الأول بدون تاريخ

٨٦- المراكشي: (عبد الواحد)

ت ٦٤٧ هـ - ١٢٤٩م

ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م

٨٧- المراكشي: (محمد الفتيحي)

ـ السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٤١هـ

٨٨- المقدسي: (شمس الدين أبو عبد الله محمد)

ت ٣٨٧هـ - ٩٩٧م

ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ليدن سنة ١٩٠٦

٨٩- المقري: (شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني)

ت ١٠٤١هـ ÷ ١٦٣٨م

ـ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض

تحقيق مصطفى السقا وآخرون

القاهرة سنة ١٣٥٩هـ - سنة ١٩٤٠م

ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب

تحقيق إحسان عباس ٨ أجزاء

بيروت سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

ـ تحقيق محيي الدين عبد الحميد ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م

٩٠- المقريزى: (تقى الدين أحمد بن على)

ت ٨٤٥هـ - ١٤٤١م

ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان بولاق سنة ١٢٧٠هـ

٩١- ابن المؤقت: (محمد بن عبد الله)

ـ السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية

جزءان ـ طبع حجر مراكشى سنة ١٢٣٥هـ

٩٢- الناصرى: (أبو العباسى أحمد بن خالد الناصرى)

ت ١٣١٥هـ

ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدار البيضاء سنة ١٩٥٤م

٩٣- النباهى: (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسين)

ت ٧٧٦هـ

ـ تاريخ قضاة الأندلس، المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا

نشر ليفى بروفنسال ط ١ دار الكاتب المصرى سنة ١٩٤٨م

٩٤- النويرى: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد)

ت ٧٣٣هـ

ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب

الجزء الرابع والعشرون

تحقيق حسين نصار

المجلس الأعلى للثقافة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب

٩٥- ابن الوردى: (سراج الدين بن حفص بن عمر أبى الفوارس)

ت ٨٦١هـ - ١٤٥٧م

ـ كتاب خريدة العجائب وفريدة الضرائب نشر ليدن سنة ١٨٢٣هـ

٩٦- الونشريشي: (أبى العباس أحمد بن يحيى)

ت ٩١٤هـ - ١٠٨٥م

ـ المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس ١٢ جزء مطبعة الشافعة بدون تاريخ، فاس

٩٧- ياقوت: (أبو عبد الله)

ت ٦٢٦هـ

٥ أجزاء طبعة طهران ١٩٦٥

٦ أجزاء طبعة ١٨٦٦ - ١٨٧٣

٨ أجزاء فى أربع مجلدات طبعة القاهرة سنة ١٩٠٦

٩٨- يحيى بن عمر

ت ٢٨٩هـ - ٩٠١م

ـ أحكام السوق

تحقيق محمود على مكى

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد العدد ٢ مجلد ٤ مدريد سنة ١٩٥٦.

ثالثًا: المراجع العربية الحديث:

١- إبراهيم حركات:

- المغرب عبر التاريخ ط الدار البيضاء الطبعة الأولى ١٩٦٥م - ١٣٨٤هـ طبعة دار السلمى

- النظام السياسى والحربى فى عهد المرابطين، الدار البيضاء، منشورات مكتبة الوحدة العربية دون تاريخ

٢- أمارى: (مشيل)

- المكتبة العربية الصقلية

- ليبسك سنة ١٨٧٥م

٣- أمبرسيو هويثى ميراندا

- على بن يوسف وأعماله فى الأندلس، بحث نشر فى مجلة تطوان الجامعة المغربية، كلية الآداب، العدد ٣ - ٤، ١٩٥٨ - ١٩٥٩م ص ١٥٣ - ص ١٧٦.

- واقعة اقليش ومصرع الأمير شانجة، مجلة تطوان، العدد الثانى سنة ١٩٥٧م

- المطبخ الأسبانى خلال العصر الموحدى مجلة معهد الدراسات مدريد المجلد الخامس سنة ١٩٥٧.

٤- إحسان عباس

- الجانب السياسى من رحلة ابن العربى إلى المشرق، مجلة الأبحاث الجامعة الأمريكية بيروت سنة ١٩٦٣م

- الأدب الأندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٨م

٥- أحمد مختار العبادى

ـ الأعياد فى مملكة غرناطة مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد المجلد الخامس عشر سنه ١٩٧٠م

ـ دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس الإسكندرية طبعة سنة ١٩٦٨م.

ـ فى تاريخ المغرب والأندلس طبعة سنة ١٩٧٨م.

٦- بروفنسال: (ليفى)

ـ محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها.

٧- توروس بلباس

ـ الأبنية الأسبانية الإسلامية

ـ مجلة معهد الدراسات الإسلامية العدد الأول سنة ١٩٥٤م

٨- جمال سرور

ـ تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى القاهرة سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

٩- جمال محرز:

ـ الرسوم الجدارية الإسلامية فى البوطل بالحمراء

١٠- چوليان: «شارل أندريه»

ـ تاريخ أفريقية: ترجمة عوض أباظة سنة ١٩٦٨م

١١- الچيلالى: عبد الرحمن بن محمد:

ـ تاريخ الجزائر العام جزءان ط ٢ ١٩٦٥م بيروت

١٢- حسن إبراهيم حسن

النظم الإسلامية

١٣- حسن أحمد محمود

- قيام دولة المرابطين مكتبة النهضة سنة ١٩٥٧

١٤- حسن حسنى عبد الوهاب

- ورقات من الحضارة العربية فى أفريقية قسم ٢ تونس ١٩٦٦

١٥- حسن على حسن

- الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين مكتبة الخانكى - مصر سنة ١٩٨٠م

١٦- حسين مؤنس

- الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٧م

- الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين وسقوط سرقسطة فى أيدى النصارى سنة ٥١٢هـ/ ١١٨م مع أربع وثائق جديدة مجلة - كلية الآداب، القاهرة، المجلد ١١ جـ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٩ ص ٩١ - ص ١٤٣

- سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم فى الأندلس صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد المجلد الأول، العدد الثالث سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ص ٩٧ - ص ١٤٠.

- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين للموحدين، سنة ٥٢٠هـ - ٥٤٠هـ مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٥ المجلد الأول العدد الثالث.

- تطور العمارة الإسلامية فى الأندلس كلية الآداب جامعة فؤاد الأول.

- فتح العرب للمغرب

١٧- حكمة على الأوسى

ـ الأدب الأندلسى فى عصر الموحدين مكتبة ـ الخانكى القاهرة

١٨- رابح بونار

المغرب العربى تاريخ وثقافة ـ الجزائر سنة ١٩٦٨م

١٩- ذكى محمد حسن: فنون الإسلام، ط (١) سنه ١٩٤٨م النهضة المصرية

٢٠- شكيب أرسلان: الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية، بيروت ١٣٥٨هـ منشورات دار مكتبة الحياة، الجزء الثالث

٢١- شوقى أبو خليل

الزلاقة:

دار الفكر، دمشق طبعة سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٢٢- صبح الصالح

النظم الإسلامية

٢٣- ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدول الإسلامية طبعة سنة ١٩٦١ الأنجلو المصرية

٢٤- عبد الرحمن الحجى

التاريخ الأندلسى، من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ٩٢هـ - ٨٩٧هـ/ ٧١١م - ١٤٩٢م دار القلم، دمشق، بيروت، دار القلم الكويت، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ - سنة ١٩٧٩م

٢٥- عبد الله على علام

ـ الدعوة الموحدية بالمغرب (القاهرة سنة ١٩٦٤م)

ـ الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على

مطابع دار المعارف مصر سنة ١٩٧١م

٢٦- عثمان الكعاك

الحضارة المغربية فى حوض البحر المتوسط

٢٧- عز الدين موسى

النشاط الاقتصادى فى المغـرب الإسلامى فى القرن السادس الهجرى دار الشروق سنة ١٩٨٣م

٢٨- على محـمد حـمودة: تاريخ الأندلس السـياسى والعـمرانى والاجـتمـاعى، دار الكتاب العربى بمصر طبعة ١ سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، طبعة ١٣٨٠ - ١٩٦١م

٢٩- فيـليب خورى حـتى: تاريخ العرب المطول، الجـزء الثانى الطبـعة الرابعـة سنة ١٩٦٥م

٣٠- مبارك الميلى

ـ تاريخ الجزائر العام فى القديم والحديث جـ ٢ مطبعة الجزائر ١٣٥٠هـ

٣١- محمد الفاس

ـ أصول الأعلام الجغرافية الأندلسية مجلة البينة عدد يونيو سنه ١٩٦٢م

٣٢- محمد المنونى

ـ العلوم والآداب والفنون على عصر الموحـدين تطوان المطبعة المصرية ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م

٣٣- محمد بحر عبد المجيد

ـ اليهود فى الأندلس، المكتبة الثقافية عدد ٢٣٧، سنه ١٩٧٠م

٣٤- محمد مجيد السعيد

ـ الشعر فى عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ الجمهورية العراقية.

٣٥- محمد طرطوشة:

ـ نظرية ابن خلدون فى الاقتصاد والقـرآن مجلة الفكر (تونس) العدد ١٥ طبعة سنه ١٩٦٧م

٣٦- محمد عبد الله عنان

ـ دولة الإسلام فى الأندلس

ـ عصر الطوائف

ـ عصر المرابطين والموحدين

ـ الآثار الأندلسية الباقية

ـ نهاية الأندلس

٣٧- محمد عبد الهادى شعيرة

ـ المرابطون وتاريخهم السياسى ط ١ سنه ١٩٦٩م القاهرة

٣٨- محمد كمال شبانة

ـ يوسف الأول سلطان غرناطة

٣٩- محمد ولد دادة

ـ مفهوم الملك فى المغرب

ـ بيروت، دار الكتاب اللبنانى ـ دار الكتاب المصرى سنه ١٩٧١م

٤٠- محمود على مكى

ـ وثائق تاريخية جديدة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد

٤١- المرير

ـ الأبحاث السامية جـ٢ تطوان سنه ١٩٥٢م

٤٢- مصطفى الشكعة

ـ الأدب الأندلسى

٤٣- مصطفى الهمشرى

ـ الأعمال المصرفية فى الإسلام.

٤٤- مورينو

ـ الفن الإسلامى فى أسبانيا

٤٥- موسى لقبال

ـ الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب

٤٦- ناجى معروف

ـ المدخل فى تاريخ الحضارة العربية الطبعة الأولى بغداد سنة ١٣٧٩م

٤٧- نعمة العزارى:

أبو بكر الزبيدى النحوى وآثاره فى النحو واللغة النجف سنه ١٩٧٥م.

٤٨- يوسف أشباخ

ـ تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين

ـ ترجمة محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية القاهرة سنه ١٩٥٨م ١٣٧٧هـ.

رابعا المراجه الاجنبية

1. Abbady: (Ahamd Mujtar Al Abbady)

- El Reino de Granada en la Epóca de Muhammed v (Madrid 1973)

2. Aly Mohamed Fhamy.

- Muslim sea power in the Eastern Mediterranean from the seventh to the tenth century. A.D. 1950.

3. Amariom M.I.: Diplomi arabi del archivio fiorentio, V.I. Firenze, le Monnier, 1863.

4. Bel. A.,: Contribution a l'étude des dirhrems de l'époque almohade, d'aprés un groupe important de ces monnaies récemment découvert `a Tlemcen Hespéris, 1933, Tome XVI, pp 1 - 68.

5. Brelvi: Islam in Africa. Lahor 1964.

6. Budgett-Meakin: The Moorish Empire. London, 1899.

7. Bosch villa, J.: historia de Marruecos los Almoravides, Tetuan, Instituto General Franco, 1956.

8. Codero, F. : Decadencia y Desparición de los Almor `avides en Espana, Zarogoza, 1899.

9. Dozy, R.: Histoire de musulmanes d'Espagne, 4 x : Leyde, Brill, 1861.

- Historia Abbàdidarum, 2 v., leyed, Brill, 1946.

- Recherches sur l'hitoire et l'littérature de l'Espagne pendant le moyen âge, leyde Brill, 1881.

- Supplement aux Dictionnaires Arabes, 2, v. Leyde, Brill, 1881.

- Dictionaire De 'Tailloe' des voms des Vetements chez les Arabesm Amesterdam, 1845.

10. Gayangos "Pascual de Gayangos":

- The history of the Mohammedan dynasties in Spain.

Extracted by Ahamad at Mappari. 2 vols. London 1840 - 1843.

11. Gomez. "G" Elogio del Islam espanol, resala fi Fadl al Andulus.

12. Goitein, :S.D." Jews and Arabs: Their contacts through the Ages, New York, Schocken, 1955.

- Studies in Islamic History and Institutions, Leiden, Brill, 1968.

13. Heyd (w)

- Histoire du comm erce du Levant au Moyen Age, 2 v.,

(leipzig, v 1, 1923); v. 2, 188.

14 Hopkins, "J.F.p."

- Medieval Muslim Government of Barbary until the six century of the Hijra, London 1963.

15. Julien, "A", Histoire de l'Afrique du Nord, paris 1951. (Jusoú `a la conquête arabes)

- 1952 (depuis la conquete arabes)

16. Lafuente: "M"

- Historia General de Espana. 1899.

17. Lane-poole- "S" The Moonish in Spain, London, (1867)

- Catalogue of the collections of oriental coins, London, 1897.

18. Lambert: "Elie":

-: Les mosquees de type andalous en Espagne et en Afrique du Nord, Al-Andalus, vol. XIV: 1949.

19. Laviox (H)

- Catalogues des monnaies musulmanes de la Bibliotheque Nationale: Espagne et Afrique, Paris 1861.

20. Levi-provençal,

- La peninsula Iberique du Moyen-Age d'aprez le Kitab Ar-Rawd al Mitar d'Ibn Abd al Munim al Himyari (leiden 1938).

- le voyage d'Ibn Battuta dans le royaum de Granada (1939),

Melange offierts a william Marçais. Paris (1950)

- Inscriptions Arabes d'Espagne, paris (1931)

- L'Espagne Musulmane au xieme Siecle Paris (1951).

- Una cronica de Abd Al Rohoman III Al Nasir. Madrid Granada 1950.

21. Du Mas-Latri, L., traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique seprentrionale au moyen-âge, Paris, 1965.

22. Massignon, "1" le Maroc dans les premieres annees du XVI siécle, Alger, 1906.

23. Melchor, "Antuna, "P"

- Sevilla y sus monumentos arabes, El-Escorial, 1930.

24. Miranda "Huici"

- La invasion de los Almoravides y la batalla de Zallacam

(Hespéris 1953).

25. Pidal (u) The cid and his Spain London 1934.

26. Prescott: (William H.):

- History of the reign of ferdinand and Isabella the catholic.

(London 1895).

27. Ribera "J"

- La Musica de las cantigas

28. Scott, "S.P." History of Mooris Empire.

29. Simonet: "F." J. Historia de los Mozarabes de Espana, Madrid, 1903.

- Description del reino de Granada bajo la dominacion de los

Naseritas. "Madroid 1860".

30. Terrasse (Henri):

- Histoire du Maroc. Casablanca 1951.

31. Torres Balbas., "Leopoldo"

- Arquitectos Andoluces de las epocas Almoravide y Almohade Al-Andalus 1946.

32. Vives, preioto, La reforma N ummimtica de los Almohades, Madrid 1915.